A.U.B. LIBRARY

هيئة خريجي قسم الأدب الانجليزي
من جامعة فؤاد الأول

صدقي إسحق ، مصطفى طه حبيب

828
S534gA
C.1

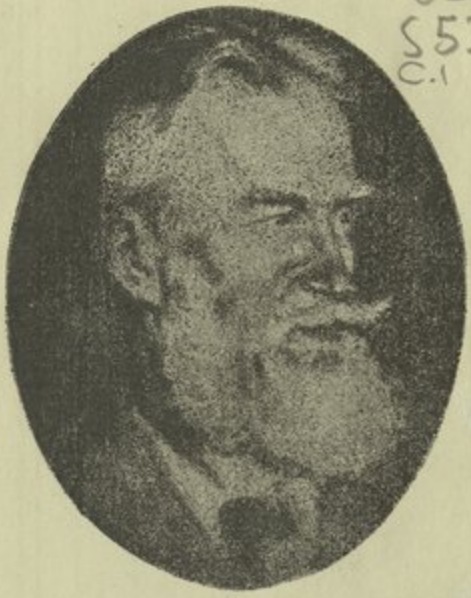

برنارد شو

جنيف

59740

الناشر : مكتبة الآداب بالقاهرة ت ٤٢٧٧٧
مطبعة التوكل بالجماميز

828
S584gA

الى . . .

الى العربى برسموله الغد المأمول . وبعملوله

لتحقيق السلام العالمى المنشود . . .

الى الجيل الجديد الذى سيتسنم ذروة الحكم

فى عالم الغد . .

أهدى هذه البادئ لعل وعسى . . . .

جورج برنارد شو كاتب عالمي من العباقرة الموهوبين، عرك الحياة وخبر الأيام، وسمحت له تجاربه الطويلة - فقد عاصر أحداث قرنين من الزمان - أن يتعمق في نفاذ بصيرة في حقائق الوجود وأن يجلوها للناس في عبارة رائعة ولفظ آخاذ وأن يتخذ سبيله إلى الإرشاد لفتة بارعة ونكتة لاذعة يفهمها عنه الناس ويحسنون تناقلها إذ ما أسرع ما تنتشر اللذعات وما تحفظ الفكاهات . . .

وإذا كان «شو» حلو اللفظ بارع اللفتة، فهو في الوقت ذاته قوى الحجة غزير المعنى؛ يملك عليك نفسك بسهولة حواره، لا يطوف بك مع شطحات الخيال ودنيا الأحلام بل يدنيك من الحقيقة السافرة ويقربك من الواقع الذي لا مفر منه . . «شو» كاتب واقعي لا يرضى أن تنعت أعماله بالخلود فهو لا يؤثر هذه الصفة ويراها صفة قد انقضى إبانها ... والعالم يتقدم ويتجدد فمن حق التقدم على الكتاب أن ينفذوا ببصائرهم إلى أحداث عصورهم وأحوال شعوبهم ويتخذوا منها مادة لفنهم وأداة لألهاب مشاعر معاصريهم من بني وطنهم . . . هو لا يؤمن بالتقليد والمحاكاة بل يعتبرهما شرا على الفن ويرى أنه لولا التغير في حياة الناس ولولا التطور في أفكار العصور ومثلها ما نبغ كاتب ولا علا نجم فنان بعد كتاب الطليعة الأول . . . فتطور العصر وتغير وجهات النظر هو الذي جعل لعهد الفروسية أبطاله ولعصر النهضة رجاله وللعصر

الحديث كتابه . . . أن الكاتب الناجح هو الذى يعرض لموضوعه على ضوء أفكار العصر الذى يعيش فيه ويتمثله بأسلوب الحياة التى يتنسمها . . .

شاهد « شو » مختتم القرن التاسع عشر قرن ، التحول فى الحياة العامة فى أوربا وذاق فى شبابه مرارة الأيام ورأى بعينه انهيار عالم بأكمله وتطور شعوب وثل عروش وصاحب القرن العشرين بأحداثه وتقلباته وحروبه ومعاهداته . . . وتأمل الوجود وأحاط بأسرار السياسة ونفذ إلى أعماقها وتمثل كل ما فى الحياة من خير وشر ووعى صدقها وكذبها وحقها ورياءها حتى إذا بلغ منها الغاية تحول من الصحافة والنقد إلى الكتابة المسرحية والقصص ليصل إلى قلوب العامة والخاصة من أيسر الطرق عندهم وآثرها لديهم وأحبها إلى نفوسهم . . . وسبيل « شو » وطريقه هو طريق الواصلين العالمين ببواطن الأمور الذين لا يغرهم زيف المظاهر ولا بريق الحياة ولا شقشقة المتعالمين ، هو يدرك ما وراء كل شىء ولذلك فهو يسخر من كل شىء سخرية قوية مؤلمة قد تثير سخط البعض لأنها سخرية كاشفة تظهر حقائق الاشياء وتقربها إلى الذهن وتُرى مواضع النقص وتضحكك حتى من نفسك فى بعض الأحيان . . على أنها لا تلبث أن تستقر فى النفس ويحسن الناس تأملها فيرضون عنها كل الرضى ويؤثرونها كل الإيثار . . .

بهذه الروح الكاشفة وبهذا القلم الجامح وبذلك الأسلوب اللاذع أزاح « شو » الستار عن قصة « عصبة الأمم » التى تمخضت عنها الحرب

العالمية الأولى فى هذا القرن (١٩١٤ - ١٩١٨) فى تمثيلية « جنيف » التى نقدمها لكم فى هذا الكتيب ... وجنيف هى مقر عصبة الأمم وما يتفرع منها من « محكمة عدل دولية » و « مجلس أمن عالمى » ولجنة الثقافة الدولية ... وقد استطاع « شو » بإشاراته ولذعاته أن يبين مواضع النقص وأن يعرض نقط الضعف وأن يتحدث عن المذاهب السياسية المعاصرة وعن آمال الشعوب المهيضة وعن الحق والعدل . .

وقد نشر « شو » كتابه هذا فى مستهل الحرب الحاضرة . . وهانحن ننقله إلى العربية فى مختتم هذه الحرب العالمية الثانية فى هذا القرن (١٩٣٩ - ١٩٤٥ . . ؟) وصيحات السلم تتصاعد ومؤتمرات السلام تعد ليقرأه الذين يستعدون لشهود مؤتمر سان فرنسيسكو والذين يتطلعون إلى مقترحات « دمبرتن أوكس » لتنظيم السلام العالمى وإقامة « مجلس الأمن الجديد » ومحكمة العدل الدولية لعل فيه درساً نافعا وعظة بالغة وتحذيرا وتنويراً فما أشبه الليلة بالبارحة .... !!

مصطفى طه حبيب

القاهرة فى ابريل سنة ١٩٤٥

الرهبان

الفصل الأول

صباح أحد أيام شهر مايو فى جنيف ، مكتب فقير الأثاث ، قديمه ، فى حالة رثة جدا . والاثاث مكون من مائدة قائمة للكتابة تتوسط الغرفة ، عليها آلة كاتبة قديمة وبجانبها كرسى متحرك للكاتبة ومكبس قديم حال صبغه ، وثلاثة مقاعد للزوار بجانب الحائط قرب الباب ، ومدفأة الجاز حديدية من نوع رخيص قد تصلح لتدفئة مخزن لا لغرفة مكتب يعمل فيها الناس وهى على يمين الكاتبة ، ويواجهها فى الناحية الاخرى عن يسار الكاتبة المكبس ، والنافذه من وراء الكاتبة . تجلس فتاة انجليزية على الكرسى المتحرك ويبدو من حالة المكتب أنها كانت تعد بطاقات السجل إذ تناثر البطاقات على المكتب إلى جانب درج مفتوح لحفظ البطاقات ، وكذلك مجموعة من ورق الفولسكاب كانت تنسخ فيها ما يكتب على البطاقات ولكنها لا تعمل الآن بل تدخن وتقرأ فى مجلة مصورة وساقاها ممتدتان على المكتب ، وعلى رف ممتد من المكتب فنجان وترموس وعلبة سجائر . وهى فتاة تبدو راضية عن نفسها ، جذابة لحد ما وهى تدرك ذلك . وثيابها رغم أناقتها من النوع الجاهز وحديثها وسلوكها يظهران أنها من ضواحى لندن

يسمع طرق على الباب فتسحب فى سرعة ساقيها من على المكتب وتقفز من مكانها وتلقى بسيجارتها فى المدفأة وتختطف الاشياء الموضوعة على رف المكتب وتخفيها فى المكبس

الكاتبة :- تنادى Entrez S'il vous plait تفضل ، ادخل .

يدخل سيد متوسط العمر ممتاز المظهر ذو لحية وشارب أصفرين على رأسه قبعة من نوع التوب هات Top Hat ويرتدى معطفا رسميا وقفازين ، يتأمل الغرفة والفتاة باندهاش واضح

هو : عفوا يا مدموازيل أنا أبحث عن مكتب اللجنة الدولية للتعاون الثقافى

هى : هو هذا . تفضل . اجلس

هو : مترددا أشكرك ولكن عملى هام جدا ولا بد أن أرى رئيسك ، ليس هذا هو المكتب الرئيسى هه ؟

هى : لا . . المكتب الرئيسى فى باريس . هذا هو كل شىء هنا — ليس كما ينبغى هه . . . . ؟

هو : الحقيقة أننى بعد زيارتى للقصر الفخم الذى يشغله مكتب العمل الدولى والجناح الجديد للسكرتارية كنت أتوقع أن أرى لجنة التعاون الثقافى فى مبنى فخم عظيم

هى : أنت على حق فهذا شىء مخجل ! ؟ كم أتمنى أن تكتب للصحف فى ذلك ، تفضل اجلس

هو : شكرا يهم بأخذ أحد المقاعد التى بجانب الحائط

هى : لا .. لا .. لا تأخذ هذا فأحدى أرجله ليست قوية ثابتة وهو لمجرد المظهر ليس إلا . خذ الكرسى الثانى لو سمحت

هو : ألا تستطيع اللجنة أن تستبدله بكرسى جديد ؟

هى : لا تستطيع اللجنة شيئا فالميزانية الثقافية تتكون من أرباح ٢ مليون فرنك ورق لا قيمة لها — وها أنت ترانى هنا فى حجرة ضيقة حقيرة فى الدور الثالث من بيت قديم متهدم ملىء بالفيران . أما مرتبى فيخجلنى أن أذكره لك . حتى الجمعيات الخيرية تخجل من دفع مثل هذا المرتب

هو : هذه أمور مذهلة (يأخذ كرسيا سليما ويضعه قرب المكتب ويجلس) أن التعاون الثقافى لستين دولة لا بد أن يكون عملا ضخما فكيف يمكن أن يدار من مثل هذه الغرفة العارية الضئيلة ؟

هى : من وجهة الادارة أديره كما يجب وطبيعة العمل لا تستدعى العجلة كما تعلم

هو : ولكن — عفوا إذا كنت آخذ كثيرا من وقتك . . .

هى : لا شيء من ذلك ، على العكس أنا سعيدة أن أجد من أتحادث معه فلا أحد يأتى هنا والظاهر أن الناس لا يحسون بوجود اللجنة

هى : أتعنين أنه ليس لديك عمل ما ؟

هى : لا . لا . علىّ أن أقوم بكل عمل التعاون الثقافى وفضلا عن ذلك على أن أقوم به وحدى دون معاونة أحد ، حتى الفراش غير موجود . وليس للعمل آخر .... ولو كان العمل يقتضى الاستعجال لما أمكننى إنجازه أبدا — إليك مثلا هذا العمل الذى عهد به إلى !! مطلوب منى أن أعد سجلا كاملا بالبطاقات لكل الجامعات بأسماء وعناوين أمنائها ومستشاريها ووكلائهم . ثم المكاتبات الخاصة بحماية الألقاب العلمية . . وهذا وحده يستغرق نصف وقتي

هو : ويسمون ذلك التعاون الثقافى !

هى : وأى اسم آخر تسميه ؟

هو : هذا مجرد تدوين ليس إلا . . . فبأى صورة يستطيع عباقرة الفكر الذين يكونون هذه اللجنة أن يفيدوا من عقولهم الجبارة ونفوذهم وسلطتهم بما يؤثر فى مصائر الشعوب ؟ وماذا يصنعون لإصلاح أخطاء ساستنا الجهال ؟

هى : لدينا أسماؤهم كما تعلم فى سجلنا . : وماذا فى مقدورهم أكثر من ذلك ؟ يجب ألا تتوقع منهم أن يجلسوا فى هذا الجحر الضيق ليخاطبوا الناس . . ثم إنى لم أر أحداً منهم قط .

هو : وإذن فهم يتركون لك عمل كل شىء ؟

هى : ليس كل شىء فكما تعلم هناك المكتب الرئيسى فى باريس وبعض مكاتب فى بلاد أخرى وطبيعى أنهم يؤدون نصيبهم من العمل ؛ وعلى أى حال فنحن نتبادل كثيرا من المكاتبات ولكن أظننى مضطرة إلى أن أصرح بأن العمل مملا راكد، عند ماقبلت هذا العمل كنت أظن أنه سيكون مسليا وأننى سأرى كل العظماء . . . ولا أخفى عليك أننى طموحة فقد فزت بجائزة مقاطعة لندن المدرسية وكنت أريد عملا تظهر فيه مواهبى ، إذا كنت تفهمنى ، إلا أنه ليس هنا من العمل ما لا تستطيعه أية كاتبة عاديه ، ولا يقرب أحد هذا المكان أبدا . . أوه أنه ممل راكد . . .

هو : أأعرض عليك عملا مسليا يا مدموازيل . . عملا تقدرين فيه وتعرفين ؟

هى : لن أتردد فى قبوله — إذا كان صالحا .

هو : صالحا . . . . ماذا تقصدين ؟

هى : من حيث السمعة . . . . فأنا شريفة وأريد أن أبقى شريفة

هو : أتعهد لك أن نوايای شريفة كل الشرف

هى : حسنا وما مرتب هذا العمل ؟ وما مدته ؟ قد يكون العمل مملا راكدا والأجر لا يكفى الكفاف ولكنه مضمون

مدة خمس وعشرين سنة ولا أظننى أتركه من أجل عمل غير ثابت . . أنت لا تعرف ما وراء الخلو من العمل

هو : لن أطلب منك التخلى عن عملك هنا . . بالعكس وجودك فيه أمر جوهرى ولكن أظننى أستطيع أن أجعله مقبولا عندك وبالطبع سأقدم لك هدية مناسبة إذا وجدت أن مرتبك فى أى وقت لا يكفيك

هى : مرتبى لا يكفينى ولكنى لا أقبل رشوة

هو : لستِ فى حاجة إلى ذلك . وأية خدمة ودية أستطيع أن أقوم بها ستكون مستقلة كل الاستقلال ولا صلة لها بعملك الرسمى هنا

هى : قل لى ماذا تريد ، أنا لا أفهم ما ترمى اليه ؟

اليهودى : يجب أن أقول لك قبل كل شىء أننى يهودى

هى : أنا لا أصدقك فشكلك لا يدل على أنك يهودى

اليهودى : لست يهوديا من الحيثيين ، أولئك اليهود الأوائل البدائيين وليس أننى كأنف اليهود ، وليس شعرى أسود ، ولا أنا أصففه حلقات ، ولا أسرف فى تطريته بالزيت . . . . . ملامحى كلها ملامح الألمانى الأشقر . . . والألمانية لغتى . . كل شىء فىّ المانى . . . إلا أننى أتعبد فى الكنيس وعند ما

أتعبد أضع قبعتى فوق رأسى بينما الألمانى ينزعها . . ومن أجل هذا يدخلونى فى زمرة غير الآريين وهو هراء ظاهر فليس هناك شىء اسمه آرى . .

هى : يسرنى أن أسمع منك ذلك فالألمان هنا يقولون إننى آرية وأقول لهم إننى لست كذلك بل أنا انجليزية . . ليست أية انجليزية بالطبع فأنا من كمبرول واذا كان للوست إند أن يشمخ بأنفه صلفا على كمبرول فكمبرول خير ألف مرة من بكهام

اليهودى : ليس فى ذلك شك وإن لم أذهب إلى هناك

هى : لا أستطيع أن أحتمل أولئك الذين يعيشون فى بكهام وأنهم لمكروهون فى كل مكان ، هـذا شىء غريزى ألم تلحظ ذلك ؟

اليهودى : كل الشعوب مكروهة كجماعة ، فالإنجليز مكروهون ، والألمان مكروهون ، والفرنسيون مكروهون ، والبروتستانت مكروهون ، ومئات مذاهبهم يكره بعضهم بعضا وكذلك الكاثوليك والجزويت والبناؤون الأحرار . تقولين لى أن أهل بكهام مكروهون . لا شك أنهم يستحقون ذلك ،

هى : لا شك ...

اليهودى : لقد كره بعض عظماء الرجال جنسهم البشرى ذلك الجنس الذى لولا نوح لأغرقه خالقه جزاء بغيه وضلاله ، أأستطيع أن أنكر أن فى اليهود ما يستحقون من أجله الكراهية ؟ كلا فأنا نفسى أكره السواد الأعظم منهم ...

هى : لا . لا تقل ذلك فأنا أعرف كثيراً من اليهود الطيبين فى غاية الظرف ولكن الشىء الذى لا أفهمه هو لماذا تخص اليهود بالكراهية فهم ليسوا أسوأ من غيرهم ؟

اليهودى : هذا هو بالضبط الغرض من مجيء هنا اليوم . وأنتِ فيما أرى ذكية مدركة تقدرين الأمور تقديراً صحيحاً

هى : والآن ما وراء كل ذلك قل لى ... هه !

اليهودى : لقد اقتحموا دارى وسلبوا مالى ونهبونى وطردونى من وطنى ، أمر بذلك حاكم وطنى المسئول ، وأنا كفرد محطم لا أقدر على شىء ولكن عصبة الأمم تستطيع أن تعمل عن طريق لجنة التعاون الثقافى واللجنة بدورها تستطيع أن تعمل عن طريق محكمة العدل الدولية الدائمة فى لاهاى وهى الأخرى من أعمال العصبة . مهمتى هنا أن أطلب من اللجنة الاتصال بالمحكمة لإقامة الدعوى ضد الحاكم المسئول ؛ إنى أتهمه

البهودى

بالعدوان والاعتداء، والسرقة بالإكراه . . .

مى : السرقة بالإكراه ! هل اقتحموا ادارك ؟

اليهودى : كيف أستطيع أن أصف ماحدث ، كل ما كان عزيزاً لدى حطموه ! دمروه ! انتهكوا حرمته ! لن أصفح أبداً ولن أستطيع أن أنسى . . .

مى : ولكن لماذا لم تدع البوليس ؟

اليهودى : يامدموازيل ... البوليس فعل ذلك ، الحكومة فعلت ذلك... والدكتاتور الذى يسيطر على البوليس مسئول أمام أوروبا... مسئول أمام المدنية ! أنى ألجأ الى عصبة الأمم لتنصفنى فهى وحدها تستطيع أن تحاسب الحكام الطغاة والخطوة الأولى يجب أن تقوم بها لجنة التعاون الثقافى أى فى الوقت الحاضر أن تقومى بها أنت يامدموازيل ... هه

مى : ولكن ما الذى أستطيع عمله ؟ ليس فى مقدورى أن أذهب وأمسك بتلابيب حاكمك الطاغية ...

اليهودى : لا يامدموازيل .. مايجب أن تفعليه هو أن تكتبى إلى المحكمة الدولية تطلبين منها إصدار أمر بالقبض على الظالم المستبد بتهمة العمل على إفناء فريق من الجنس البشرى....

مى : ألا ترى أن هذا أكثر مما فى طاقتى ؟

اليهودى : كلا . كلا فعملك هذا لن يكون لنفسك وإنما للفكر فى أوروبا وثق أن هذا هو السبيل القويم

مى : ولكن لست أظن أننى أستطيع كتابة رسالة تحوى كل هذه المصطلحات القضائية والبوليسية

اليهودى : الأمر فى غاية البساطة وإذا سمحت لى كتبت لك صورة الرسالة .

مى : سيدى اليهودى أنا لا أحب ذلك

اليهودى : إذن اكتبى الرسالة بنفسك وأنا واثق أنك ستكتبينها على أحسن وجه وستكون فرصة لك تظهرين فيها للجنة مواهبك .

مى : ما رأيك ؟ لى صديق صحافى امريكى... ألديك مانع من أن أعرض عليه رسالتك قبل أن أرسلها ؟

اليهودى : صحافى أميركى ؟ عظيم ، عظيم ، بكل سرور اعرضيها عليه وسليه أن يصححها إذا لزم الأمر فلغتى الإنجليزية ألمانية اللهجة والأسلوب وقد تحتاج إلى تصحيح

مى : وهو كذلك ، شكراً جزيلا

اليهودى : العفو ينهض سأحضر لك صورة الرسالة بعد الظهر...
إلى الملتقى

مى : إلى الملتقى . . . يتصافحان فى حرارة

وفى الوقت عينه يفتح الباب رجل متوسط العمر يبدو عليه العناد ، مظهره محترم وإنما غير أرستقراطى يتكلم الانجليزية كبقال ريفى أو مهاجر من الممتلكات الحرة

القادم الجديد : أأستطيع أن أقابل الرئيس يا آنسة ؟

مى : فى برود وتعال وبلهجة تختلف كل الاختلاف عن اللهجة التى كانت تخاطب بها السيد اليهودى متأسفة رؤساؤنا متفرقون فى أوربا ، شخصيات عظيمة جداً كما تعلم ، هل أستطيع عمل شىء من أجلك ؟

القادم الجديد : وهو ينظر الى السيد اليهودى أخشى أنى أكون قد أزعجتكما .

اليهودى : كلا كلا لقد انتهى عملى طارئ بعقيبة ومنحنيا إلى ما بعد الظهر يامدموازيل . مسيو ! ينحنى للقادم الجديد ويخرج

مى : تستطيع أن تجلس

القادم الجديد : لن آخذ من وقتك اكثر من دقيقة يا آنسة يجلس ويخرج بعض أوارق معه

مى : أرجو أن تسرع قدر الامكان فأنا مشغولة هذا الصباح

القادم الجديد : نعم فعلى أكتافكم هنا يرتكز المخ المحرك للدنيا — فاذا ماخرجت أحدى الدول عن الخط فهذا هو المكان الذى تعاد فيه إلى موضعها أليس كذلك ؟

هى : متمالكة نفسها من غير شك

القادم الجديد : المسألة كالآتى : كان فى بلدنا انتخابات، كنا نظن أنها محصورة بين الحزبين المعروفين الحزب الوطنى وحزب العمال ولكن كسب الانتخابات شخص لم يكن معروفا من قبل سمى نفسه ديمقراطى العمل وفاز بأغلبية ساحقة على الوطنيين والعمال وألف بذلك وزارة تولت الحكم — وماذا تظنينه عمل عند ما أصبح رئيسا للوزارة

هى : بملل كيف أدرى ...

القادم الجديد : قال إنه جاء الى السلطة كديمقراطى العمل وإن عليه بهذه الصفة أن لا يضيع وقتا وأن يؤدى أعمال الدولة بأسرع وقت مستطاع

هى : تمام ، تمام — ليس فى هذا ما يدعو للشكوى هه ؟

القادم الجديد : انتظرى فسوف أدهشك ؛ قال إن الأمة قررت بتصويتها للديموقراطية أن تضع مقاليد الأمور فى يديه ويد حزبه

لمدة السنوات الخمس القادمة وأنه لن يسمح بأية معارضة . وقال إن الأقلية المنهزمة يجب ان تتنحى بدل بقائها لتعطيله ومعارضته ومعاكسته . وبالطبع لم يكن للمعارضة أن تقبل ذلك ، ورفضت ان تخرج من المجلس ، فما كان منه إلا أن أجل انعقاد المجلس حتى اليوم التالى . وعند ماجاءت المعارضة لم يسمح لها البوليس بالدخول ولم يستطع أغلب رجالها الوصول الى الأبواب لأن رئيس الوزارة نظم جماعة من الشبان أسماها القمصان النظيفة لمعاونة البوليس

هى : وبعـــد ؟ .

القادم الجديد : وبعد ! ! أهذا هو كل ما عندك من القول لى ؟

هى : ماذا تتوقع منى أن أقول ؟ أنا لا أرى غباراً فى الأمر ... هذا هو ما يمكن أن يفعله كل رجل عملى ، أما كنت تصنع أنت ذلك ؟

القادم الجديد : أفعل ذلك بالطبع فى العمل ولكن هذه سياسة

هى : أو ليست السياسة عملا ؟

القادم الجديد : كلا بالطبع ، العكس تماما ، وأنت تعرفين ذلك

هى : نعم نعم...

القادم الجديد : ما أقوله هو هذا : إن وسائل العمل هى وسائل العمل والوسائل البرلمانية هى الوسائل البرلمانية هذا شيء وذلك شيء آخر

هى : باشراق ، ولن يلتقى الأثنان ، كما يقول كبلنج

القادم الجديد : لا أنا لا أتفق مع كبلنج فهو أمبراطورى متطرف لا أحتمله أما أنا فرجل ديموقراطى

هى : ولكن لست ديموقراطيا عمليا إذا كنت متتبعة لما تقول

القادم الجديد : كلا كلا لست ديموقراطيا عملياً — إنما أنا ديموقراطى حقيقى أدافع عن حقوق الأقليات

هى : ولكن معنى الديموقرلطية فيما أفهم التمكين للأغلبية من أن تفعل ما تريد

القادم الجديد : لا . لا هذا معناه القضاء على كل حرية — أرجو أن لا يكون لديك شيء ضد الحرية

هى : ليس لدى ما أقوله ضد أى شيء ولست هنا للمناقشة فى السياسة مع كل إنسان يدخل فى مكتبى ، ما الذى تريده ؟

القادم الجديد : هذا رئيس وزارة يرتكب الخيانة العظمى والثورة والافتئات على الحقوق ويحشد القوات المسلحة ضد العرش

وينتهك حرمة الدستور ويقيم دكتاتورية ويمنع نواب الأمة المنتخبين انتخاباً شرعياً من دخول المجلس ومباشرة أعمالهم . . . فماذا نصنع معه ؟

هى : الأمر بسيط سأكتب إلى المحكمة الدولية فى لاهاى لإصدار أمر بالقبض عليه من أجل هذه التهم ، وتستطيع أن تمر فى نهاية الاسبوع عند ما يجىء الرد من لاهاى — وستقدم إلى اسم الرجل وكل التفصيلات . . .

القادم الجديد : وهو يضع مذكرات على المكتب أمامها إليك ما تطلبين . يا آنسة الحق إنها فكرة عظيمة

هى : شكراً . . . هذا كل ما هنالك — إلى الملتقى

القادم الجديد : ينهض ويذهب نحو الباب إنك تحسنين التصرف فى عملك لا خلاف فى ذلك إلى الملتقى يا آنسة

وعند خروجه يفتح الباب فى وجهه وتدخل أرملة ، سيدة فى نحو الاربعين من عمرها عليها مسحة من جمال قديم ، جمال جنوبى فاتن خلاب ، أسلوبها وثيابها الملفتة للنظر جعلت فتاة المكتب تحس بضآلتها)

الارملة : هل أنت رئيس لجنة التعاون الثقافى لعصبة الأمم ؟

القادم الجديد : لا ياسيدتى — هذه السيدة ستقوم بكل ماتحتاجين اليه

يخرج

الارملة : هل هو جاد فيما يقول ؟ إن عملى هام جداً ولقد جئت هنا لأطرحه أمام هيئة من رجالات أوربا الممتازين ولست على استعداد للتحدث فيه مع فتاة غير مسئولة

هى : أخشى أننى لست من تطلبين فما أنا إلا موظفة ، على أية حال يسرنى أن أفعل ما أستطيع

الارملة : ولكن أين رؤساؤك ؟

هى : هذا سؤال من الصعب الإجابة عليه ، إن رؤسائى مشتتون فى جميع بقاع العالم

الارملة : ولكن ألا يأتون إلى هنا للإشراف على أعمالهم ؟

هى : الحقيقة أنه ليس هنا ما يشرفون عليه فالعمل ثقافى محض كما تعلمين

الارملة : ولكن ألا يشتركون فى اجتماع العصبة ؟

هى : لقد جاء بعضهم مرة ، ولا يجىء أحدهم مرتين أبداً طالما كان ذلك فى وسعه

الارملة : ولكن يجب أن أرى أحداً ، أحداً له مركز هام

هى : أنا متأسفة فليس هنا غيرى وأستطيع أن أقوم بكل مايلزم ألا تكونين فى سبيل استصدار حكم من محكمة العدل الدولية فى لاهاى . . .

الأرملة

الارملة : بالضبط هذا ما جئت من أجله ، أريد استصدار حكم بالإعدام .

هى : حكم بماذا ! ! ؟

الارملة : حكم بالإعدام . . . سأجلس إذا كنت تسمحين لى

هى : تفضلى . . . تفضلى . . .

الارملة : تجلس أترين هذا ؟ تخرج مسدسا من حقيبتها وتلقى به على المائدة

هى : أوه هذا غير مسموح به فى جنيف . أخفه بسرعة فلربما يدخل أحد

الارملة : نعيد المسدس الى حقيبتها قوانين هذا البلد سخيفة ، فى بلادى يحمل كل إنسان غدارة

هى : من أى بلاد أنت هل لى أن أسألك ؟

الارملة : من جمهورية الفردوس الأرضى

هى : لقد ربحت أمى مرة جائزة مدرسية اسمها الفردوس الأرضى يا لها من مصادفة !

الارملة : إذن فأنت تعلمين أن الفردوس الأرضى إحدى دول العالم التى يشار إليها بالبنان فى الثقافة ونقاء العنصر وأن عاصمتها كانت تضم بين جوانبها ألفين من السكان البيض قبل الثورة

الأخيرة ولا بد أنه ما يزال منهم على قيد الحياة ألف وخمسمائة على الأقل

مى : وهل بلادك عضو فى العصبة ؟

الارملة : بالطبع ، واسمحى لى أن أذكرك أنها تستطيع بحقها فى الاعتراض أن توقف أعمال العصبة ، هذا إذا لم تهتم العصبة بمصالحها

مى : تستطيع ذلك ؟ لم أكن أعرف ، يسرنى بطبيعة الحال أن أطلب لك إقامة الدعوى ولكنى أفضل ألا نطلب حكم الإعدام فالإعدام شىء ضخم كما تلاحظين ، كل ما أريده منك هو أن تعطينى قائمة بالاتهامات التى توجهينها إلى ... إلى من توجهينها اليه ... أياً كان

الارملة : اتهام واحد ليس إلا ضد رئيس جمهورية الفردوس الأرضى الذى قتل عمداً المرحوم زوجى

مى : ولكن الأمر الذى لا شك فيه هو أنه إذا قتل الرئيس أحداً فالقتل حكم بالإعدام أما إذا قتل أحد الرئيس فهو اغتيال

الارملة : وماذا تعمل العصبة إذن إن لم توقف مثل هذه الأعمال ؟

مى : لا تسأليني عن ذلك فكل ما أعرف هو أن العصبة تدفع

لى مرتبى – ما عليك إلا أن تعطينى اسم السيد القاتل واسم المجنى عليه – إن حوادث القتل قصص مثيرة شائقة

الارملة : تغيرين رأيك إذا عشت فى بلد يغتال فيه واحد على الأقل من كل أسرة

هى : يا له من مكان مرعب ! هل تبلغ الوحشية فيه هذا المبلغ؟

الارملة : وحشية ! كلا وألف كلا – إن الفردوس الأرضى لأعظم بلدان العالم حضارة ، دستورها ديموقراطى بحت وعلى كل رئيس لجمهوريتها أن يقسم يمين الولاء له واتباع تعاليمه نصاً وروحاً ، إرادة الأمة هى السلطة العليا فليس للكنيسة سلطان بل لقد ألغيت ، والرئيس وأعضاء البرلمان ينتخبون كل عامين والانتخاب من حو كل من بلغ الرشد ، وكذلك شأن القضاة وشأن كل الموظفين وحتى الكناسون يختارون بالانتخاب ، كل هذه الإصلاحات التى جعلت الفردوس الأرضى أعظم أعضاء العصبة تقدما أدخلها المرحوم زوجى الرئيس السادس للجمهورية . . . كان راعياً للدستور أمينا عليه فكانت الانتخابات حرة بعيدة عن الأهواء والاقتراع سرياً . . . ولأول مرة فى حياة الناس عاشوا فى جو خالص من الحرية ، وعلى أثر الانتخابات صودق على ميزانية

عامين ثم أجل انعقاد البرلمان إلى نهاية هذه المدة وحكم البلاد وفقاً لآرائه بينما تفرغ الشعب كل لشأنه وعم الرخاء وانعدمت القلاقل السياسية والمنازعات ولقد أعيد انتخابه ثلاث مرات وأطلقوا عليه فى الفردوس اسم «أبو الشعب»

مى : ولكنك قلت إنه قتل غيلة وإن الرئيس اغتاله . . . فكيف يمكن ذلك إذا كان هو الرئيس ؟ وليس من الممكن أن يغتال نفسه ؟

الارملة : كانت له مع الأسف نقائص ، كان زوجا محبا بل أكثر من محب كان مدلهاً فى حبه ، ولكنه لم يكن أميناً على عهدى فعند ما ألغى الكنيسة كان بوده أن يلغى الزواج لو أنه وجد تأييداً من الرأى العام ، ثم إنه كان متسامحاً مسرفا فى التسامح مع خصومه ، كان كلما فاز فى انتخابات حشد منافسه جيشاً وحاول القيام بثورة وذلك أمر طبيعى فنحن من عنصر لا يقبل ضيما ولا يسكت على هزيمة . ولكن زوجى كان قائداً عسكرياً عظيما فلم يكن يجد صعوبة فى القضاء على هذه الثورات ، إلا أنه بدل أن يقضى على منافسه رمياً بالرصاص كما يجب أن يفعل وكما اعتاد الناس عندنا أن يفعلوا كان يصفح عنه ويتحداه أن ينازله من جديد

كيفما شاء . . . ولطالما حذرته المرة بعد الأخرى عاقبة تهاونه هذا وتعريضه سلامته للخطر ولكن دون جدوى ! لم يكن يعيرني آذاناً صاغية وأخيراً اكتشفت السر كانت له بزوج منافسه — أعز صديقاتي — صلات . . . لم يكن بد من أن أقتلها ... أطلقت عليها النار ... أرديتها قتيلة ... أعز صديقاتي ... تغلبها العواطف

هي : أوه ما كان ينبغي أن تفعلي ذلك وأن تندفعي إلى هذا الحد

الارملة : الرأي العام حملني على أن أفعل ذلك كزوج وأم تحترم نفسها . الله يعلم أنني لم أرد أن أفعل ذلك ! لقد كنت أحبها ! وما كنت أبخل عليها بعشرة أزواج لو كان لي أن أمنحهم . ولكن أنّى لك أن تخرجي على أوضاع الطبقة التي تنتمين إليها ؟ لقد أملت هذه الأوضاع على إخوتي مبارزة أعز أصدقائهم وإردائهم قتلى ، فعلوا ذلك لا لشيء إلا لأنها الأوضاع . . .

هي : ولكن أين كان البوليس ؟ ألم تحاكمي من أجل ذلك ؟

الارملة : حوكمت بالطبع ولكني دافعت عن نفسي وطالبت تطبيق القانون غير المكتوب .. العرف وبُرئت ، ولكن الفضيحة هدمت لسوء الحظ سمعة زوجي فهزم في الانتخابات التالية

وانتصر عليه ذلك الرجل الذى أبقى عليه بغبائه ، وبدلا من أن يجند جيشاً ليثأر لنفسه استسلم لليأس وانزوى فى عقر داره بعد أن هده فقدان خليلته إلى أن جاءوه ذات يوم وأطلقوا عليه النار . لقد جاءوا ليقتلونى أنا وانهمرت دموعها مرة ثانية ويا ليتهم فعلوا . . . لكنى كنت خارج البيت فلم يجدوا مانعاً من قتل زوجى إذ لم يكن هناك غيره ليقتل

هى : يا للنكبة التى حلت بك !

الارملة : أبداً إنه يستحق ما لقى كل الاستحقاق فما كلمنى قط منذ قتلت المرأة التى أحبها كل منا أكثر من حبه لزميله وأعتقد أنه كان يبتهج لو أنى قتلت ، ولا ألومه على ذلك . . . مافائدة عصبة الأمم إذا لم تضع حداً لهذه الفظائع ؟

هى : ليس ذلك من عمل العصبة . . .

الارملة : ليس من عمل العصبة ؟ هل تعلمين أيتها الفتاة أنه إذا لم تحاكم العصبة قاتل زوجى فإن ابنى سيضطر إلى الأخذ بثأر أبيه فيقتل بيديه قاتل أبيه رغم كونهما زميلى مدرسة واحدة وصديقين متحابين ؟ هذا شىء غير طبيعى لا يرضى الله ؟ إذا لم تضع لجنتك حداً لذلك فسأطلق على كل عضو فيها النار

وأطلق عليك أنت ايضا النار تنهض عفواً فلم اعد احتمل أكثر من ذلك ! وسينتابنى الإغماء ما لم أخرج الى الهواء

الطاق تخرج من حقيبتها أوراقا وبطاقة وتلقيها على المائدة إليك المعلومات وهذه بطاقتى صباح الخير وتخرج بنفس الشكل الفجائى الذى دخلت به

هى : تنهض صباح .....

وما أن تخرج الارملة حتى تسقط الكاتبة فى مقعدها وقد اشتدت بها الحيرة والاندهال وهى تقول بصوت ممطوط

يا الله .....!!!!

يدخل شاب أميركى أنيق

السيد الاميركى : قولى يا صغيرتى من تلك الفتاة العجوز ذات القناع الطويل المتدلى ؟ جدة كارمن إه ؟ يجلس على حافة المكتب مواجها الفتاة على اليمين

هى : سفاكة ، أعز صديقاتها ... اضطراراً .. فظيع ... قتلوا زوجها . تقول إنها ستطلق على النار ما لم تفعل العصبة شيئا

هو : مدهش ! عجيب ! !

هى : أهذا هو كل إحساسك ؟ انظر الى عملى هذا الصباح ! اضطهادات ، ثورات ، قتل ، من كل نوع ، كان المكتب

غاصا بالناس طول الصباح ولم يعد يصلح مكانا نختلى فيه بعد اليوم

هو : لا يا صغيرتى ولكن سوف يأتى الذهب لقد أبليتُ نعالى هنا شهوراً عدة فى تلفيق الأخبار التى أبعث بها لبلدى حين لم يكن هناك ما يقال وأنت الآن تملأين قبضتى بأخبار عظيمة أنت سُكرة ! ... أنت خوخة ! ... يقبلها

يسمع طرق بالباب

هى : اشش ... هناك من يطرق الباب

ينفصلان فى سرعة ، هو يتجه نحو المدفأة وهى تعتدل فى مقعدها

هو : ادخل ! تعال !

يدخل مطران انجليزى يغطى قدمه بجتر وهو عجوز رفيق . أضعفته السنون

المطران : معذرة ، ولكن أهنا من يتكلم الانجليزية ؟

هو : مستعملا كل ما يستطيع من لباقة لغة بلادى ياسيدى وكذلك هذه السيدة يتبادلان التحية بالانحناء تفضل بالجلوس يا سيدى .

المطران : يجلس أشكرك ، إن درَج المكتب أتعبنى قليلا ! لم أعد شابا كما كنت وهم يحذرونى من إنهاك قلبى ، السفرة إلى

جنيفا شاقة لرجل فى مثل سنى ، وما كنت لأقوم بها لولا طوارىء فى غاية الأهمية

هو : وهل هذه الطوارىء مما يكون لنـــا شرف معاونتك فيها يا سيدى ؟

المطران : إن نصحكم ثمين لى فأنا هنا فى الحقيقة لا أدرى ما أصنع ولا أين أذهب ، يقابلنى الناس بفتور ـ بازدراء ـ عند ما أكشف لهم عن حالة تهدد كيان المجتمع المتحضر بل تهدد الدين والأسرة وطهارة المرأة . . . ليس ذلك فحسب بل إن الرخاء التجارى ذاته كما يقولون لى مهدد كذلك ـ أجن الناس ؟ أفلا يعقلون ؟ أعدموا الإحساس ؟ . . .

آه ! آه ! آه ! يأخذ أحد الكراسى ويجلس الى نهاية المائدة قرب المدفأة

هو : أرجوك أن تجلس يا سيدى ، ماذا حدث ؟

المطران : وهو يغوص فى مقعده سيدى ، أنهم يبشرون فعلا بالشيوعية فى أبروشيتى ... الشيوعية ! ! ! وكبير خدمى الذى خدم فى القصر أربعين عاما وهو رجل مخلص محترم يخبرنى بأن قواصى ـ وأنا المطران الوحيد اليوم فى انجلترا القادر على استخدام قواص ـ يخبرنى أن قواصى شيوعى . فرضه الشيوعيون فى بيتى لينشر دعايته الخبيثة ! وحفيدى فى

اكسفورد انضم الى ناد شيوعى واتحاد اكسفورد رفع العلم الأحمر..فظيع ! وحفيدتى من أنصار العرى .لقد مُنحت شرف تقديم بناتى الى الملكة الطيبة فكتوريا - ولو أنها رأت حفيدتى لاستدعت البوليس . . فهل يستغرب بعد ذلك أن يكون قلبى ضعيفا ؟ الصدمة تلو الصدمة . قواصى سليل أبوين محترمين وانجليكى كاثوليكى !

هو : لا أكاد أصدق ياسيدى أى عصر ذلك الذى نعيش فيه !

هى : بلهجة رسمية خالصة هذه قضية للمحكمة الدولية فى لاهاى لا ريب فى ذلك يا سيدى

المطران : أجل هذا اقتراح قيم فعلى المحكمة أن توقف البلاشفة من نفث مبادئهم الفظيعة فى انجلترا . وهذا شىء منصوص عليه فى المعاهدات

يقطع عليه حديثه دخول سيد روسى غاية فى الأناقة فيستقبله بسرور المتعرف عليه

المطران : ينهض ها نحن نلتقى مرة ثانية يا سيدى العزيز للآخرين لقد كان لى شرف التعرف بهذا السيد بالأمس فى فندق ولقد لبثنا طويلا ساهرين نتحادث فى موضوع الكنيسة الانجليزية التى وجدت أنه مهتم بشئونها يصافحه بحرارة

كيف أنت يا صديقى العزيز ؟ كيف أنت ؟

الروسى : على ما يرام ياسيدى اللورد أرجو ألا أكون قد قطعت عليك عملك ؟

المطران : كلا ، كلا ، كلا ، كلا ! أرجوك أن تبقى فستعاونني وستؤيدنى

الروسى : أنك كريم ياسيدى اللورد ! وأنا فى خدمتك

المطران : يتمتم شاكرا وهو يستعيد مجلسه شكرا شكرا

الروسى : اسمحوا لى أن أقدم نفسى . أنا القوميسير بوسكى مندوب السوفيت فى مجلس العصبة

المطران : مرتعبا مترنحا أنت بولشفيكى !

كوميسار : بالتأكيد

يغمى على المطران . القلق عام . يهرع الرجال اليه

كوميسار : دعوه كما هو فسيثوب إلى رشده وحده وذلك خير له

هى : عندى ليمونادة مثلجة فى الترموس فهل أعطيه شيئاً منها ؟

المطران : مستلقيا على ظهره أين أنا ؟ هل حدث شىء ؟

هو : أنت فى مكتب لجنة التعاون الثقافى فى جنيف وقد أصابتك نوبة قلبية بسيطة

كوميسار : لا تتحرك أيها الرفيق فسوف تتمالك نفسك حالا

المطران : يجلس أنه ليس قلبى يا كوميسار إنها صدمة معنوية لقد

قدمت نفسك إلى بالأمس كسيد مهذب متحضر مهتم بشئون كنيسة انجلترا والآن تنكشف عن بولشفى فبأى حق تعرضنى لمثل هذا الخداع القاسى ؟

ينهض . الكوميسار يساعده لا ، أستطيع أن أنهض بغير معونتك أشكرك يحاول النهوض ولكنه يخر صريعا فى أحضان الكوميسار

كوميسار : الثبات أيها الرفيق ..

المطران : يستعيد مجلسه بمساعدة الكوميسار يجب أن أشكرك مرة أخرى ولكننى أرتعد لمس يديك الملطختين بالدماء .

كوميسار : يداى ليستا ملطختين بالدماء أيها الرفيق وما خدعتك . أنك لم تعد إلى رشدك بعد . أنا صديق ليلة الأمس ألا تذكرنى ؟

المطران : بلشفى ! لو كنت أعرف ياسيدى لصدمتك بإباء

هو : عائدا مرة أخرى إلى جانب المدفأة روسيا عضو فى العصبة يا سيدى اللورد وهذا السيد الواقف هنا فى مرتبة وزير الخارجية البريطانية

المطران : بحدة أبداً . أبداً

هى : فى رقة ما الذى نستطيع أن نعمله من أجلك يامستر بوسكى؟

يؤسفنى ألا أستطيع تقديم كرسى لك فهذا الكرسى ليس ثابتا

كوميسار : لا بأس فعملى لن يستغرق أكثر من لحظة أن الحكومة السوفيتية كما تعلمين قد بذلت كل ما فى وسعها للموافقة على ألا تشجع أو تمول أية دعاية شيوعية قد تتخذ شكل مؤامرة سياسية لقلب الحكومة القومية البريطانية

المطران : ونقضا لهذا العهد أفسدتم قواصى وجعلتم منه شيوعيا بعد أن كان شابا انجليزيا محترما أمينا

كوميسار : حقا . . . ؟ أنا لا أعرف شيئا عن قواصك ، فاذا كان ذكيا لدرجة اعتناقه الشيوعية كما فعل كثير من مشهورى الانجليز قبل الثورة الروسية بوقت طويل - إذا كان ذكيا إلى هذا الحد فليس فى مقدورنا أن نمنعه . ولكننا لا نستخدمه كعميل لنا ولا نمده بالمال على أية حال

هو : فما هى مشكلتك إذن أيها الرفيق بوسكى ؟

كوميسار : لقد اكتشفنا ان هناك هيئة خطيرة جدا تعمل فى روسيا وتمول من الجزائر البريطانية وأن غرضها قلب النظام السوفيتى وإحلال كنيسة انجلترا والدستور البريطانى محله

المطران : ولم لا ياسيدى ؟ لم لا ؟ وهل هناك ما هو أحب من ذلك او ما هو طبيعى أكثر منه ؟ أو تحملك كراهيتك العمياء

للنظم البريطانية ولكل حريات الفكر والقول على أن تجعل من الدعوة إلى نظام اجمع العالم على انه خير نظام حرية وكمالا — أو تجعل من الدعوة إلى مثل هذا النظام جريمة؟

كوميسار : ليس ذلك من رأينا . فما دام الالتزام بتجنب مثل هذا النوع من الدعاية التزاما متبادلا فهو ملزم لكم كما هو ملزم لنا ..

هو : ولكن ما هى هذه الهيئة الثورية التى اكتشفتموها؟

كوميسار : هيئة تسمى جماعة نشر الكتاب المقدس فى الجهات الأجنبية ولها عملاء فى كل مكان يسمون أنفسهم مبشرين

المطران : أنا لا اطيق احتمال ذلك ، الرجل مخبول فأنا ممن يمدون هذه الجماعة بأكثر مما أستطيع وهى هيئة ذات مركز سام لها قداستها وسمعتها

كوميسار : لم نحط علما بالحقيقة فمبادؤها هدامة خطيرة ، لقد تسربت إلى عقر دارى . فزوجى مشغولة دائما فى عملها وأعمالى العامة تستنفد كل وقتى ولذا فاننا نعتمد كل الاعتماد فى شئون بيتنا وتدبيره على فيودوروفنا باليبوشكا . . . ولقد مكثنا سنوات فى راحة تامة بفضل هذه المرأة البارعة ..

كانت فى شبابها ما نسميه « يودارنك » أى لاقطة السنابل
إن كان هذا التعبير يحمل لكم اى معنى

المطران : كلكم أهل مباغتات فى روسيا اليوم ولقد رأيت أثر ذلك على؟

كومبسار : كان ذلك فى الأيام الأولى للثورة عند ما كانت مليئة بالشباب والحماس أما الآن فقد اضحت عجوزاً يناسب سنها ومزاجها الحنون عمل البيت ، ومنذ شهرين طرأ عليها تغيير عجيب كانت ترفض القيام بأى عمل غير عاجل بحجة أن نهاية العالم على الأبواب . وكانت تردد القول بأنها « أنقذت » وكثيرا ما قطعت على عملى زاعمة أنها تريد أنقاذى واخذت تنتابها نوبات طويله من البكاء لتصورها زوجى مخلدة فى الجحيم . واتهمت السوفيت بأنهم هم الزنابير المنصوص عنهم فى سفر الرؤيا ، كنا على وشك التبليغ عنها كمخبولة — رغما عنا — فقد كنا نحب البوشكا العزيزة — لولا أننا اكتشفنا أنها واقعة تحت تأثير تلك الجماعة غير المشروعة فأبلغت البوليس السرى الذى كنتم تعرفونه باسم ج . ب . أو . ف اكتشف السر وقبض على أربعة مبشرين

المطران : ورموهم بالرصاص . يالشهداء المسيحية ! كل من يقع فى يد الج . ب . أو . المرعبة يرمى بالرصاص فى الحال من غير محاكمة ومن غير رعاية الكنيسة سأقيم صلاة تذكارية على

روحهم وسيتسنى لى أخيراً أن أقهر طغيانكم وكفركم

كوميسار : أنت مخطىء جداً فهم لم يقتلوا بل سيعادون إلى انجلترا ، ذلك كل ما فى الأمر

المطران : بحق بأى حق تقبضون عليهم ؟ كيف تجسرون على القبض على انجليزى ؟ كيف تجترأون على اضطهاد الدين ؟

كوميسار : لقد فحصهم الخبراء النفسيون بكل عناية ودقة وقرروا أنهم لا يستطيعون العثور على شىء فى أذهانهم يمكن أن يسمى ديناً وإنما تملأ أدمغتهم خرافات وتعصبات وحشية . فهم يؤمنون بالتضحية البشرية ، يؤمنون بما يسمونه إراقة الدماء لغفران الذنوب ، إذا انتشرت مثل هذه العقائد فى روسيا فلن تسلم حياة انسان

المطران : ولكنك لا تفهم ... باللجهل المطبق !

كوميسار : لننتقل إلى نقطة أخرى اكتشف بوليسنا وثيقة سرية من وثائق كنيستكم اسمها المواد التسع والثلاثون

المطران : سرية ! ! إنها فى كتاب الصلاة !

كوميسار : إنها لا تقرأ فى الكنيسة ولهذا مغزاه ، وجد البوليس أكثر هذه المواد غير مفهوم إلا أن هناك واحده ، الثامنة عشرة تقول بأن الروس ملعونون ، ماذا يكون رأيك لو أن هيئتنا

الكومبسار

الثقافية العليا التى تنفق عليها حكومة الكومنترن أرسلت عملاءها إلى انجلترا ليبثوا تعاليمهم بأن كل انجليزى ملعون !!

المطران : ولكن من المؤكد أنك لا تضع كنيسة انجلترا موضع المقارنة مع الكومنترن !!

كوميسار : أيها الرفيق المطران، الكومنترن هى كنيسة الدولة فى روسيا كما أن كنيسة انجلترا هى كنيسة الدولة فى بريطانيا ، تماما من غير فارق .

يميل المطران على الارض فى اغماءة أخرى

هى : أوه لقد عاد ثانية إلى الإغماء . . . أ آتى بالترموس ؟

هو : يحسن أن تترفق به يا مستر بوسكى فالفالج يميت الناس ، ربما لايفيق المرة القادمة ومن يدرى ربما لايفيق هذه المرة

كوميسار : ما الذى أفعل ؟ أنا لم أقل شيئا يمكن أن يسبب صدمة لأى شخص معقول متعلم ؛ ولكن يبدو أن هـذا الرجل لايعرف فى أى دنيا نعيش

هى : إنه مطران انجليزى كما تعلم

كوميسار : أو ليس إنسانا معقولا ؟

هى : كلا . كلا إنه لم ينزل الى هذا الحد فهو مطران كما قلت لك

المطران : أين أنا ؟ ولماذا أنا راقد على الأرض ؟ما الذى حدث...؟!

هو : أنت فى مكتب التعاون الثقافى فى جنيف ولقد قيل لك أن الكومنترن الروسية معادلة لكنيسة انجلترا

المطران : يقفز على قدميه من غير معاونة وعيونه تبرق ما يزال فىّ بقية من حياة أستطيع بها أن أدحض ذلك . . . قال كارل ماركس — عدو المسيح — إن النعيم الذى يعد به الدين ما هو إلا أفيون مخدر يعطى للفقراء ليساعدهم على تحمل مشاق الحياة التى شاءها الله لهم ، هل يعلم الكومنترن هذا الكفر أم لا ؟

كوميسار : مستحيل فليس فى روسيا فقراء

المطران : أوه ! يسقط ميتا

هو : يجس نبضه أخشى أنك صدمته للأبد أيها الرفيق لقد وقف نبضه ومات

بوسكى : أو كان حيا يوما ما ؟ ما كنت أتخيل وجود كائن مثله

هى : ما أظن الترموس يجدى الآن . هل أستدعى طبيباً ؟

هو : الأوفق أن نستدعى البوليس — مستر بوسكى أنك ثروة !

كوميسار : ثروة ؟ كيف ؟

هو : اقرأ كل الصحف الأوروبية غدا وأنت تعرف

الفصل الثانى

مكتب سكرتير عصبة الأمم ، فيما عدا المائدة الصغيرة التى يجلس اليها السكرتير ليس فى الغرفة أثاث ، الجدران مغطاة بصور مكبرة لملوك ورؤساء جمهوريات ودكتاتوريين أكثرهم فى ملابس عسكرية وفوق هذه الصور العسكرية زين السكورنيش بصف من الحمائم الجبسية البارزة وهناك صورة كبيرة بالزيت لامرأة بالحجم الطبيعى تمثل السلام وحول قدميها يركع أشخاص صغار فى ثياب عسكرية كذلك ، مطأطئين رؤوسهم فى خشوع وهى تمنحهم أكليلا من الغار — وهذه الصورة تواجه مكتب السكرتير من الناحية الأخرى من الغرفة وهو جالس إلى مكتبه وظهره إلى الشباك . والداخل من الباب الذى يقع بينهما يرى الجانب الأيسر من وجهه — والى جانب الحيطان صفت ستة مقاعد ووضع الى جانب المكتب مقعد ليجلس عليه المتحدث الى السكرتير .

والسكرتير موظف لا يعرف الأوهام ولا الخيالات ، صبور فى مثابرة اكتسب هذه الصفة من طول محادثاته مع ساسة البلدان المختلفة الافذاذ وكلهم جاهل ممعن فى الجهل بروح جنيف ودستور عصبة الأمم وكلهم يحمل سيفا وطنيا ليشحذه

وفى هذه المناسبة يبدو السكرتير على غير عادته مهتما قلقا يكسب عطف من يراه فهو من طراز رقيق ويجول بالخاطر أنه كان فى البدء من المتحمسين لجنيف ، سنه خمسون أو حولها ، على المكتب تليفون يستخدمه الآن . . .

السكرتير : نعم . دعها تصعد فى الحال . ذكرنى باسمها . ماذا ؟ ! أمونيا ؟ هراء ! لا يمكن أن يكون هذا اسمها . . . .

تهجه ... ف ى ؟ ... أوه ب ى أتريد أن تقول أن اسمها بيجونيا ؟ بيجونيا براون ؟ ... مضحك

يضع السماعة بينما تدخل بيجونيا — كاتبة التعاون التعساق ، وهى فى ملابس الخروج ... رخيصة ولكنها أنيقة جدا

السكرتير : مس براون

بيجونيا : فى أحسن بسماتها نعم

السكرتير : تفضلى بالجلوس

بيجونيا : تجلس شكرا

السكرتير : فى رزانة سمعت الأنباء لا شك ؟

بيجونيا : بالطبع — جاك بلاميدس فاز بجائزة الرقص لقد راهنت عليه بعشرة فرنكات وربحت مائة — أراهنت عليه ؟

السكرتير : مستمرا فى رزانته أخشى أن تظنينى جاهلا جداً يا مس براون ولكنى لم أسمع أبداً عن مستر بلاميدس ...

بيجونيا : عجيب ! أنه حديث الناس فى جنيف

السكرتير : هناك أنباء أخرى يا مس براون لقد انسحبت ألمانيا من العصبة

بيجونيا : بفرح مع السلامة إذا شئت رأيى . لقد خسر أبى مالا كثيرا بسبب الحرب وإلا ما كنت ترانى هنا أشقى كالعبيد

السكرتير : بلا شك – ونبأ آخر أن الأمبراطورية البريطانية أعلنت الحرب على روسيا

بيجونيا : وماذا كنت تتوقع منها أن تفعل مع هؤلاء البلاشفة الأنباذ كان يجب أن تفعل ذلك من زمن طويل ولكن حمدا لله على أننا أنا وأنت آمنان هنا فى جنيف

السكرتير : حتى الآن نحن فى أمان أينما كنا – فالحرب حرب عقوبات فقط

بيجونيا : إن ذلك لما يخجلنا . . . هذا هو رأيى ، لو أن الأمر لى لشرعت فى وجوه هؤلاء البلاشفة السيف فهذه هى اللغة التى يفهمها أولئك الأوباش إننى لا أتمالك نفسى كلما طاف بذهنى ما يرتكبونه من آثام وقتل واستعباد

السكرتير : وكانت النتيجة أن اليابان أعلنت الحرب على روسيا وأصبحت بذلك فى تحالف حربى مع بريطانيا ونتج عن ذلك أن استراليا ونيوزيلندة وكندا رفضت الحرب وكونت مع الولايات المتحدة حلفا ضد اليابان تحت اسم الاتحاد البريطانى الجديد وقد تنضم إليها جنوب افريقيا فى أية لحظة .

بيجونيا : وقد احرت استياء اتعنى أنهم فككوا امبراطوريتنا العزيزة ؟

السكرتير : لم يقولوا شيئا من هذا

بيجونيا : اذا كان الأمر كذلك فلا بأس .... أتعرف ... عندما كنت فى المدرسة اختارونى خمس مرات للإنشاد فى يوم الامبراطورية وفى السنة الأولى وأنا أصغر طفل هناك قدمت باقة من الزهور لأخت الملك جورج التى جاءت لتوزيع الجوائز ... لينطق لسانك بأية كلمة ضد الامبراطورية وأنت ترى من بيجونيا براون حربا عوانا

السكرتير : أكنت اذن فى المدرسة ؟

بيجونيا : بالطبع ماذا تظننى ؟ لقد لبثت فى المدرسة سبع سنوات لم أتخلف فيها يوما واحدا ونلت أربع عشرة جائزة للمواظبة على الحضور

السكرتير : مدهش !

بيجونيا : ماذا قلت ؟

السكرتير : لا شىء... كنت على وشك أن أخبرك عما حدث فى كويتزال كوبوليس الميناء الرئيسى للفردوس الأرضى

بيجونيا : آه فى امريكا الوسطى أليس كذلك ؟

السكرتير : نعم هاجم الغوغاء هناك القنصلية البريطانية ومزقوا العلم البريطانى

بيجونيا : نامضة فى حنق أهانوا العلم البريطانى ! ! !

السكرتير : وحرقوا كذلك ثلاثة أديرة وكنيستين

بيجونيا : هذا لايهم فما هى إلا كنائس كاثوليكية — ولكن أتعنى أنهم اجترءوا على مس العلم البريطانى ؟

السكرتير : نعم فعلوا ذلك . ولحسن الحظ كان ذلك بعد ساعات العمل وانصراف الموظفين والا لذبحوهم من غير شك

بيجونيا : باللخنازير القذرة ! أرجو ألا يترك الأسطول البريطانى حجرا على حجر فى هذه الميناء الوحشية وألا يدع فيها ديارا من هؤلاء الزنوج سيكون ذلك درسا لهم لن ينسوه !

السكرتير : لم يعد هناك غير خبر واحد لا أهمية له ، لقد أعلنت جاكسونلاند انفصالها عن نظام الدومنيون ونادت بنفسها جمهورية مستقلة

بيجونيا : لتخجل من نفسها فالجمهوريات أقل شأنا وأدنى قدرا — ولكن لا تعر ذلك بالا فعما قريب سيطرد الجمهوريون أشنع طردة فقد يغرر بالناس وقتا ولكنهم ما يلبثون حتى يعودوا إلى أحضان الملكية والوطن

السكرتير: والآن هيا يا مس براون هل تدركين تمام الادراك أنك كنت السبب فى كل هذا ؟

بيجونيا : أنا !

السكرتير: نعم أنت وحدك ففى كل حالة من هذه الحالات كانت يدك هى التى بدأت سلسلة الاضطرابات السياسية التى ربما أودت بالحضارة

بيجونيا : مزهوة حقيقة ؟! كيف ؟

السكرتير : هذه الرسائل التى بعثت بها الى محكمة العدل الدولية فى لاهاى

بيجونيا : أوه بالطبع . نعم تصور !!

السكرتير : ولكن ألم تدركى ما كنت تفعلين ؟ لقد حررت المكاتبات بمقدرة فائقة أكثر مما كنت أتوقع منك ـ أتريدينى أن أفهم أنك لم تقدرى عواقب عملك ؟ أو لم تقرأى الصحف لتقفى على ما كان يحدث ؟

بيجونيا : أنا لا أقرأ الاخبار السياسية فهى جافة غير ممتعة وعلى أية حال يبدو أننى قد أصبت نجاحا كبيرا ولا أود أن أدعى بأنى لست مغتبطة

السكرتير : لسوء الحظ لا تعد الدول العظمى ذلك نجاحا ويلومونى عليه

بيجونيا : أوه . إذا كان هناك أى لوم فأنا على استعداد لتحمله كله

السكرتير : هذا تفضل عظيم منك يامس براون

بيجونيا : ليس تفضلا ولكنى أشكرك على أى حال ـ أود أن تعلم

أنى أدافع عن الامبراطورية وستدافع الامبراطورية عنى فلا تقلق

السكرتير : قد تكونين على حق ، والآن هل لى أن أسألك سؤالا شخصيا ؟ كيف نشأ اهتمامك بعصبة الأمم ؟ كيف حصلت على وظيفتك هذه التى وضعت مصير العالم فى يديك على غير انتظار ؟

بيجونيا : أكنت مهتمة بشئون العصبة ؟ ... دعنى أفكر ، هناك جمعية اسمها اتحاد عصبة الأمم أتعرفها ؟

السكرتير : نعم ، وانى أرتجف كلما أفكر فيها

بيجونيا : ليس بها من بأس لم أسمع عنها قبل العام الماضى عند ماافتتحوا فرعا فى كمبرول بمباراة فى الهوست أعطانى صديق تذكرة وافتتح الحفلة مرشح حزب المحافظين وهو فتى غرير يتمرغ فى الذهب ، رأى أننى أفوق الاخريات شكلا فانتقانى رفيقة له عندما دعى للرقص ، قلت له إننى فزت بجائزة المقاطعة المدرسية وإننى متعلمة أعرف الاختزال وقليلا من الفرنسية الى آخر كل ذلك وأننى أبحث عن عمل ...

وبفضل أهله حصلت على هذا العمل فى جنيف ، إنه سيد

لاغبار عليه لا بد من تقرير ذلك فما طالبنى بشىء . . . حتى ولا بقبلة الشىء الذى خيب ظنى

السكرتير : خيب ظنك لأنه لم يقبلك ؟

بيجونيا : كلا . كلا . فلم تكن هناك شكوى من قلة القبلات فشبان كثيرون أجمل منه شكلا كانوا يتكفلون بها ، كان غرا وخيل الى أن له نوايا وليس من شك فى أنه كان لى نعم القرين فلما اشتم أهله المسألة أرسلوه فى رحلة حول الامبراطورية وعينونى فى هذا العمل — ليبعدونى عن طريقه فيما أظن ، على أى حال ها أنا هنا كما ترانى

السكرتير : وهل اختبرت معارفك عن ميثاق العصبة ودستورها ؟

بيجونيا : كلا لم يجدوا حاجة لاختبارى لمعرفه إن كنت متعلمة أم لا فقد كانت لدى جوائز وشهادات كثيرة وجائزة مقاطعة لندن ، ذاكرتى قوية فلم تكن الامتحانات لتقلقنى ووجدت فى المكتب كتاباً عن العصبة حاولت أن أقرأه ولكنه كان عملا فبعث النوم إلى جفونى

السكرتير : ناهضا مس براون إنى سعيد بمعرفتك ويسرنى أن أرى أنك على الرغم من الأزمة السياسية الحادة التى كنت السبب فيها والتى قد تؤدى إلى حرب عالمية والتى أحدثت تغييرا هائلا فى دستور الامبراطورية البريطانية - على الرغم من هذه

الأزمة التى خلقتها أثناء عمل يوم واحد ما تزالين عالية المزاج مزهوة

بيجونيا : التى نهضت هى الاخرى لست مزهوة على الاطلاق وأنا معتادة على النجاح ، ورغم أننى كنت دائما على رأس فرقتى أيام المدرسة إلا أننى ماحاولت أبداً التظاهر بالمهارة ، المهارة السخيفة كما أسميها .... كنت أول الأمر أحسب حسابا للفتيات اللائى يظهرن كماهرات لهن أفكار فذة وما إلى ذلك من هذه السخافات ولكنى تفوقت عليهن بسهولة فى الامتحانات وخلفتهن ورائى ، كان ذلك حافزا لى وباعثاً فى نفسى الثقة فأينما ذهبت وجدت الكثيرين يشاطرونني أفكارى ، وصفوة الناس دائما كذلك ، أما الباقون فعلى الهامش لا حساب لهم . إن أردت أن تعرف حقيقة الرأى العام الانجليزى فارجع إلى — لست أخشى الحرب أبداً ، تذكر أن انجلترا لم تخسر معركة قط وأنه لا ضرر من ان تذكر الأجانب بذلك كلما اشتطوا ، نهارك سعيد ، سرنى لقاؤك

يتصافحان ويتقدمها الى الباب ويفتحه لها فتخرج فائضة الغبطة مزهوة بنفسها .

السكرتير : متفكرا فى ذهول وهذه هى انجلترا ... ! يدق التليفون فيعود الى المائدة نعم ؟ . . . أى وزير خارجية ..؟! لكل جحر وركن فى الامبراطورية اليوم وزير خارجية ، أتعنى وزير خارجية

بريطانيا سير اورفيوس ميدلاندر ؟ . . . . لم لم تقل ذلك دعه يتفضل فى الحال

يدخل سير أورفيوس وهو سيد حسن البزة فى الخمسين من عمره أو حولها لطيف المعشر حاضر البديهة وهو فى مجموعه شخصية لطيفة محببة.

السكرتير : تفضل بالجلوس لا أستطيع أن أعبر لك عن شعورى أزاء اضطرارك للمجىء من لندن إلى هنا فى أسبوع سباق الدربى

اورفيوس : يجلس إنك أنت ياصديق الذى حملتنى على المجىء . . . آمل أن تتفضل بالسماح لى بسؤالك عما فعلت ؟ وما الذى حملك على عمله ؟

السكرتير : أنا لم أفعل شيئا . . . أن لجنة التعاون الثقافى هى التى فعلت

سيراو : لجنة ماذا ؟ ؟ ! ما سمعت قط عن هذه الهيئة

السكرتير : ولا أنا حتى فوجئت بهذه المسألة ، وما سمع بها أحد قط ولكنى اكتشفت الآن أنها جزء من العصبة وأن أعضاءها شخصيات أوروبية ضخمة مشهورة ترجموا عن الاغريقية أو اكتشفوا كواكب جديدة أو أشياء من هذا القبيل

سيراو : أى نعم ، خارج السياسة ، ولكن لايجب أن تسمح بتدخل رجال الأدب فى الشئون الخارجية ثم لا بد أنهم عقدوا اجتماعات قبل اتخاذ مثل هذه الخطوة الضالة الطاغية فلم لم نخطر لنسحقهم إذ ذاك فورا

السكرتير : هم أبرياء ولا علم لهم بها ، المسألة كلها من تدبير فتاة اسمها بيجونيا براون

سير أو : بيجونيا براون ؟ هذا مروع فستقع الشبهة على

السكرتير : أنت ! كيف ؟

سير أو : هذه المرأة ـ لا بد أنها نفس المرأة ، إذ لا يمكن أن توجد فى العالم امرأة أخرى بهذا الاسم ـ هذه المرأة مخطوبة لابن أخى

السكرتير : لقد أخبرتنى عن ذلك ولكنى لم أكن أعلم أن الرجل ابن أخيك ـ أرى حرج مركزك ألم تكلمها أبداً فى هذا الموضوع ؟

سير أو : أنا لم تقع عيناى عليها قط . كل ما هنالك أنى أذكر اسمها المضحك

السكرتير : أكان من عادتك المناقشة فى الشئون الخارجية مع ابن أخيك ؟

سير أو : مع بنجى ! إذا فهم نسناس أزرق المؤخرة نظرية النسبية لاينشتاين فبنجى يفهم فى الشئون الخارجية ـ لم أبادل الغلام عشرين كلمة منذ نفحته منحة يوم انتقاله من إيتون إلى أكسفورد

السكرتير : هذا يزيد المسألة تعقيدا فمراسلاتها مع محكمة لاهاى كانت فائقة فى أسلوبها وتدل على مقدرة بالغة والمرأة ـ أناواثق ـ

عاجزة عن أن تقوم بذلك - فلا بد أن أحداً وراءها . أفيمكن أن يكون ابن أخيك ؟

سير أو : ما دام العمل ينم عن مقدرة سياسية وأسلوب ممتاز كما تقول فأؤكد لك أن ابن أختي سو لا يد له فيه . وفضلا عن ذلك فهو الآن في سنغافورة حيث رقص الوطنيات أخاذ لا يقاوم .

يدق التليفون

السكرتير : معذرة . نعم ؟ . . . . لحظة واحدة لسير اورفيوس كبير قضاة محكمة العدل الدولية في لاهاى موجود في الطابق الأرضي . أليس من المستحسن أن تراه ؟

سير أو : بكل تأكيد فقد جاء في وقته

السكرتير : في التليفون دعه يصعد

سير او : أجاءتك مكاتبات بخصوص هذه المسألة ؟

السكرتير : مكاتبات ؟ ! ! ! ! أنا لم أقرأ عشر ما جاءني . ان الحرب الحبشية لم تكن شيئاً مذكوراً إلى جانب هذه المشكلة التي لم نر لها مثيلا من قبل

يدخل كبير القضاة . هو رجل هولندي أصغر سنا من المستوى العادي للقاضي البريطاني فهو دون الاربعين ولكنه وقور جداً يتفجر وقار القضاء من جوانبه

السكرتير : يؤلمنى تحملك مشقة المجىء من لاهاى إلى هنا ـ فكلمة منك كانت كافية لان أذهب إليك وأوفر عليك هذه المشقة هل سبق لك التعرف بوزير خارجية بريطانيا سير اورفيوس ميدلاندر ؟

القاضى : لم يحصل لى هذا الشرف كيف أنت يا سير ميدلاندر ؟

يتصافحان بينما يضع السكرتير مقعدا للقاضى وسط الغرفة بين مكتبه وسير اورفيوس . يجلسون جميعا

القاضى : رأيت الأوفق أن أجىء ، والأمر العجيب فى هذه المسألة أننى اتصلت بكل أعضاء اللجنة الثقافية فلم أجد واحداً منهم على علم بالموضوع والأعجب أن أغلبهم لم يكن يعرف أنه عضو

سير او : أتريد أن تقول أن المسألة كلها خدعة

القاضى : من المحتمل أن أحداً كان يداعب المحكمة ، أما وقد ذاعت طلبات الدعاوى فلا يسع المحكمة الا أن تعالج الأمر جادة والا تعرضت للسخرية أمام أوروبا كلها

سير او : ولكن الشىء الذى لا شك فيه أن الدول العظمى لم يكن يخطر ببالها مثل هذا الإجراء عند ما انضمت إلى العصبة ؟

القاضى : ما أظن شيئا خطر ببال الدول العظمى عند ما انضمت إلى

العصبة فلقد وقعت الميثاق من غير أن تقرأه مجاملة للرئيس ولسن ورفضت الولايات المتحدة التوقيع عليه احراجاً للرئيس ولسن من غير أن تقرأه كذلك ومنذ ذلك الحين والدول تتصرف كما لو أن العصبة غير قائمة وما كانت لتقيم لها وزناً إلا عند ما كان فى ذلك خدمة لمآربها

سير او : من غير تصنع ولكن كيف كان لهم أن يستخدموها فى غير ذلك؟

القاضى : كان فى إمكانهم استخدامها للمحافظة على العدالة وإقرار النظام بين الدول

سير او : ان هذا غاية ما نبغى . فالامبراطورية البريطانية قائمة لحماية العدل والنظام . ولكن لا بدلى أن أنبه إلى أن وزارة الخارجية البريطانية تنظر بعين الخطورة إلى كل ما قد تحاول المحكمة القيام به من غير استشارتها .

ولست فى حاجة إلى أن أذكرك بأنه لا سلطان لكم بدوننا فليس لكم قوة من البوليس لتنفيذ أوامركم وليس فى مقدوركم أن تضعوا الدول العظمى فى قفص المتهمين فليس عندكم قفص

القاضى : قاعة المحكمة فى لاهاى يمكن تزويدها بسهولة بقفص إذا كنت ترى ضرورة لذلك وإن كنت أنا شخصيا لا أجد له هذه الضرورة ، وموظفونا يمكن أن تسند إليهم أعمال البوليس إلى الحد المطلوب

سير أو : لا أظنك جاداً ! فليست لكم سلطة

القاضى : تعنى أن سلطتنا غير محدودة ، ومعنى هذا أن سلطتنا فى أيدينا تكييفها . والقانون المستمد من أحكام القضاة شىء معروف لكم جيدا فى انجلترا وقضاة محكمة العدل الدولية يا سير ميدلاندر ليسوا نكرات ، ولقد انتظرنا وقتا طويلا لقضية تدفعنا للعمل ، وهأنتم أتحتم لنا الفرصة بهذه القضايا الأربع ولكم أن تطمئنوا إلى أننا سنبذل قصارى المستطاع ولسوف توطد هذه القضايا مركزنا الذى لم يعرف بعد ، ولسوف تظهر سلطتنا التى لم تحس بعد بكل ما كنا فى حاجة اليه هو قضية رنانة ولقد القت مس بيجونيا بين أيدينا عدة قضايا فى وقت مناسب جداً

سير أو : سيدى العزيز أن مس براون لا اعتبار لها

القاضى : إن العدالة تصبح سخرية الناس إذا لم تستجب المحكمة العليا لأقل الأفراد شأنا

سير أو : بالطبع أنا معك فى هذا ـ وانما من جهة المبدأ ، وأنت تعلم أن هناك أناسا تستطيع أن تستدعيهم إلى المحكمة وأناسا لا تستطيع وتجربتك فى المحاماة ....

القاضى : مقاطعا فى حدة لم تكن لى تجربة فى المحاماة ، أرجو أن تتذكر

أنك لست الآن فى انجلترا حيث القضاة محامون حطمتهم الأيام وقتلت فى معظمهم كل حس بالقانون وأنستهم ماقد حصلوه

سير أو : عجيب ! يجب أن أعترف أننى دهشت عند ما رأيت كرسى القضاء يمثله رجل شاب فى مثل سنك ، وأخشى أنه لا بد لى أن أضيف أننى أفضل نظامنا البريطانى .... فالقاضى البريطانى لا يمكن أن يكون مصدر مضايقة لنا .

القاضى : ولماذا ترانى مصدر مضايقة لك ... ما أنا الا قاض أولا وآخرا ، إن ما يثير الاستياء والفضيحة أن نرى ساسة هذا العصر ينسلون الواحد وراء الآخر ويتخلون عن تأييد سيادة القانون القائم على مبادىء العدالة الخالدة إلى تأييد حكومات ينشئها قادة الدهماء أو العسكر الظافرون ولكل من هؤلاء قائمة بأعدائه الخطرين الذين يعمل فيهم الحبس والنفى والقتل كيفما شاء إلى أن يجىء اليوم الذى يغلبه فيه على أمره منافس أقوى منه فيتناوله بدوره بالحبس والنفى والقتل ، مثل هذا الحال يثير سخطى الشديد ولقد قضيت سنوات محاولا ابتداع طريقة قانونية أستطيع بها أن أقدم للعدالة هؤلاء الخارجين على القانون ، على أن لجنة التعاون الثقافى التى يجب أن أعترف أننى كنت جاهلا كل الجهل بوجودها —

قد رسمت الطريق وستؤيدها المحكمة بكل ما تملك من قوة

سير أو : أخشى أنك مثالى نوعا ما

القاضى : لا مناص من ذلك فالعدالة مثل أعلى وأنا قاض فما أنت ؟ هل لى أن أسألك ؟

سير أو : أنا ! أوه . . . ما أنا إلا وزير خارجية محرج أشد الحرج؛ العدالة يا صديقى الشاب إذا سمحت لى أن أدعوك كذلك ، مثل أعلى ومثل أعلى رائع جداً . . . ولكن ما أختص به هو السلطة والسلطة فى أكثر الأحيان شى مخيف مفزع وإذا أصدر واحد من قادة الدهماء ـ أولئك الذين ينفردون بالسلطة ـ أمراً بالقبض عليك بل أمراً باعدامك فسيقبض عليك وترمى بالرصاص فى اللحظة التى تطأ فيها قدمك أرض بلادهم بل قد يصل الأمر إلى اختطافك وحملك إلى هناك .. تذكر نابليون والدوق دانجان . . . أما إذا أصدرت أنت أمراً أو حكما على واحد من هؤلاء فستسخر منك أوروبا لأنه لا سلطان لك . . . وسيكون حكمك غير مجد شأنه فى ذلك شأن مرسوم بالحرمان

القاضى : أتحب أن يصيبك أمر بالحرمان ؟

سير أو : لا أظنك جاداً فى سؤالك ؟

القاضى : بل جاد جدا

سير أو هذا لا يمكن وقوعه يا سيدى العزيز

القاضى : معذرة ولكنه ممكن

سير أو : بعتاد معذرة ولكنه غير ممكن ... واجه الحقيقة فأولا ، لست كاثوليكيا تابعاً لكنيسة روما بل أتبع كنيسة انجلترا وحيث أقيم تدين الكنيسة لى بوجودها فأنا الذى أدفع رواتب عمال الكنيسة ، وأسقف الكنيسة لا يظهر فى مجتمع إلا فى بيتى

القاضى : إن مركز الأسقف ثابت مدى الحياة وله مخصصاته .... وإذا كنتَ من المشهورين بالسلوك المعيب فى إمكانه أن يحرمك من الرحمة الالهية

سير أو ولكنى لست من المشهورين بالسلوك المعيب ، وإذا خطر للأسقف مثل هذه الفكرة فلن ينتهى الأسبوع حتى يجد نفسه خارج الأبروشية نزيلا فى مستشفى المجاذيب

القاضى : فلنفرض أن الأسقف كان على استعداد لتحمل ذلك ؟ ولنفرض أن حرب سنة ١٩١٤ تجددت وكنت مسئولا عن إرسال شباب بلادك لالقاء القنابل على عواصم أوروبا؟ ولنفرض أن أسقفك كقس مسيحى ارتأى أنك غير جدير

بالرحمة الالهية لذنوبك التى لا تغتفر ؟ ولنفرض أنك نفذت مشيئتك وألقيت به فى مستشفى المجاذيب ! أفيرضيك ذلك ؟

سير أو : ولنفرض أن القرويين حرقوا أبروشيته وألقوا به فى بركة الخيل ليعلموه درساً صغيراً فى الوطنية البريطانية ! أفيرضيه ذلك ؟

القاضى : فى الاستشهاد ما يستهوى بعض الطبائع . . . ولكن سؤالى لم يكن عن رضائه هو وإنما عن رضائك أنت

سير أو : ليس لذلك عندى غير الازدراء

القاضى : لاشك ولكنى أترضى ذلك ؟

سير أو : دعك من هذا... دعك من هذا !!

القاضى : أؤكد لك يا سير ميدلاندر أنك لن تراح لذلك ، وإذا أصدرت المحكمه الدولية - استجابة للجنة التعاون الثقافى حكما فى غير صالحكم فأن ذلك لن يقع منك موقع الارتياح والرجل الذى تحكم عليه لاهاى لن يجد للراحة سبيلا ، والدولة التى تدمغ لاهاى تصرفها بالخطأ لن تجد للراحة كذلك سبيلا .

سير أو : ولكن أنى لك التنفيذ وليس فى استطاعتك فرض العقوبات

القاضى : ما الذى تعنيه تماماً بالعقوبات يا سير ميدلاندر ؟

سير او : أعنى ما يعنيه كل إنسان ؛ العقوبات هى العقوبات .... خذ الزيت مثلا

القاضى : زيت الخروع ...؟!

سير أو : لا .. لا .. زيت المحركات ، ما تستخدمه لادارة طائراتك

القاضى : زيت المحركات عقوبة عند ما نمنعه ، وزيت الخروع عقوبة عند ما نعطيه فهل هناك فارق آخر ؟

سير أو : مبدئيا لم يخطر ذلك ببالى من قبل أما وقد ذكرته فلاشك أن هناك مقابلة ، ولكن زيت الخروع كعقوبة شىء غير متبع فى انجلترا لأنه مناف للأصول ، أما عقوبة زيت المحركات فأمر لا غبار عليه

القاضى : لا يتطرقن إليك الخوف فلن تلجأ المحكمة لعقوبة غير قدسية العدالة ، ولسوف تثبت هذه القدسية وتطبق أحكامها كما ينبغى فواجب القاضى أن يجد علاجا لكل خطيئة فالمسألة التى نحن بصددها هى هذه ! أربعة أشخاص وقعت عليهم مظالم مجحفة فتقدموا بشكاواهم إلى لجنة التعاون الثقافى ولجنة التعاون الثقافى تصرفت تصرفا صحيحا فأحالت الشكاوى إلى المحكمة الدولية . وأنا كرئيس لهذه المحكمة من واجبى أن أجد علاجا لهذه الأخطاء وسأفعل ذلك ما وسعنى الجهد ولو

أدى ذلك إلى أن تكون قراراتى أساساً لمبادىء دولية جديدة أو أن تكون منعدمة السوابق القانونية

سير أو : ولكن قل لى يا سيدى العزيز ما هى الخطوات التى فى مقدورك أن تتخذها ؟

القاضى : لقد اتخذتها فعلا ، حددت يوماً للنظر فى هذه القضايا وأعلنت المدعين والمدعى عليهم للمثول أمام هذه المحكمة

السكرتير : ولكن المدعى عليهم هم الرؤساء المسئولون لدول ذات سيادة فهل يدور بخلدك أنهم سيلبون دعوتك ؟

القاضى : سوف نرى.. وهذا فى الواقع هو الغرض من تجربتى ، سوف نرى... ينهض والآن لابد لى أن أستأذنكم فى الانصراف، سيرميدلا بندر...أن محادثتنا أفادتنى كثيرا فقد اتضح لى منها موقف بلادكم .. ياحضرة السكرتير .. أشكرك لوقتك الثمين الذى منحتنى إياه طاب يومكم أيها السادة

يخرج

سير أو : ماذا تفعل مع رجال من هذا الطراز ؟

السكرتير : ماذا هم فاعلون بنا ؟ هذا هو السؤال الذى يواجهنا الآن

سير أو : هه ! وماذا يستطيعون غير إلقاء الخطب وكتابة المقالات وهذا شىء مسموح به فى انجلترا ، والحرية البريطانية صمام

للأمان نافع جداً

السكرتير : كنت فى صف القاضى فى وقت من الأوقات أرى رأيه إلى أن علمتنى تجاربى الرسمية أن القومية المثالية ضرب من الأوهام

سير او : تعنى الدولية

السكرتير : كلا ... الدولية هراء فحشد الدول جميعها فى جنيف مثله كمثل إلقاء الأسماك كلها فى بركة واحدة فهى سرعان ماتبدأ فى أكل بعضها البعض ، نحن فى حاجة إلى شىء أسمى من القومية — نظام عالمى شامل للناحيتين السياسية والاجتماعية يعم فيه التسامح ونفع البشر جميعا . كيف نستطيع أن نحقق هذا النظام وهؤلاء الوطنيون المتطرفون واقفون لك بالمرصاد بأناشيدهم القومية وأعلامهم وأحلامهم فى آفاق الحرب والغزو التى ينشأون عليها منذ نعومة أظفارهم ؟ ان نظام الدول هو نظام حرب عالمية — إذا أراد رجلان أن يقتتلا فكيف تمنعهما ؟ بأبعادهما وفصلهما الواحد عن الآخر لا بجمعهما معا . عند ما كانت الدول منفصلة كانت الحرب أمراً عارضا استثنائيا أما الآن فالعصبة تتلبد فى سماء أوروبا كسحابة حرب منذرة لا تنقشع

وزير خارجية انجلترا

سير أو : خفف عنى غلواء تحمسك فأنا لا أختلف معك فى الرأى

السكرتير : معذرة فهذه الأزمة تقلقنى.. لننظر فيما يجب عمله . ماذا تفعل بيجونيا براون ؟

سير أو : نفعل بها ؟ نسحقها نمحقها . هذه المستهترة الطائشة الغرة إنها تافهة .. إنها نكرة

يقطع المحادثة فجأة اندفاع بيجونيا ذاتها فى حالة من الاضطراب وعدم ضبط النفس

بيجونيا : هل بلغتك الأنباء ؟ ترى سير أورفيوس

معذرة لم أكن أعرف أنك مشغول

السكرتير : السير أورفيوس ميدلاندر وزير خارجية بريطانيا — مس براون !

بيجونيا : سعيدة بلقياك ياسير أورفيوس . أعرف ابن أختك فنحن صديقان عزيزان تصاحبه بود زائد . أبلغتك الأنباء ؟ لقد مات اللورد ميد لسكس

سير أو : حقاً ؟ دعينى أفكر . ميدلسكس ؟ لا أظننى أهتم بالخبر من هو ميدلسكس ؟ ذكرينى به

بيجونيا : والد اللورد نيوكروس

سير أو : أوه ! إذن نيوكروس سيذهب إلى مجلس اللوردات ليخلف

والده ومعنى هذا انتخاب فرعى فى كمبرول

بيجونيا : نعم والمحافظون يرشحوننى

السيدان معا : ماذا !!!

بيجونيا : ألا يجب أن أفعل ذلك ؟ لقد تحدثت عنى الصحف كثيرا فى المدة الأخيرة وإذا دخلت البرلمان فمعناه ستمائة جنيه فى السنة ، سأكون المرشحة الوطنية وستنقسم أصوات العمال لأن الشيوعيين رشحوا واحداً منهم ضد مرشح العمال ، والأحرار هم الآخرون ينافسونهم على المقعد... ولسوف يجعل ذلك فوزى محققاً

سير او : ولكن ابن اختى هو مرشح الحكومة ألم يخبرك بذلك ؟

بيجونيا : هذا صحيح ولكنه انسحب ورشحنى وسيدفع نفقات الانتخاب

سير او : كنت أظنه فى سنغافورة

بيجونيا : نعم هو هناك وقد تم كل شىء بالتلغراف وقد بلغتنى الأنباء منذ قليل وبلكنز العزيز كما تعلم ليس لبقا كما يجب فمن الخير ألا يكون هنا لئلا يفسد الأمور تجلس

سير او : ولكن أتقبلك لجنته ؟

بيجونيا : سيسرهم من غير شك أن يجدوا مرشحا مشرفا كفيل

رغم ما بذلوه من جهد وتدريب ليبدو فى المجتمعات العامة كما يجب أساء إلى نفسه إساءة كبرى بظهوره أمام الجمهور . وكان الحمل الوديع المسكين يعلم ذلك وما كان ليقدم عليه لولا أن أمه دفعته .

سير او : وهل تظنين أن حظك مع الجمهور سيكون خيراً من حظه ؟ إنك لست من المشتغلين بالسياسة ولا يعرفك أحد ؟

بيجونيا : شأنى فى ذلك شأن كل الناس وعند دخولى المجلس سأعرف من السياسة كل ما أحتاج إليه . وسأفوز بعضوية المجلس لأن آلاف الناس فى كمبرول يشاركوننى الرأى أتراهنى على أننى سأفوز بأغلبية ساحقة ، أنا واثقة من ذلك ويملؤنى الابتهاج الى السكرتير لقد كنت لطيفا معى منذ قليل ولذلك رأيت أن أطلعك على الأنباء قبل أى إنسان آخر الى السير اورفيوس وهذه الأخبار تهم الحكومة أليس كذلك ؟

سير او : جداً ... جداً يا مس براون !!

بيجونيا : سمنى بيجونيا فنحن أقارب الآن أليس كذلك ؟

سير او : أظن ...

بيجونيا : أنا متأكدة من النجاح أليس كذلك ؟

سير او : إذا كان منافسوك الثلاثة أغنياء لدرجة منازلتك فمن المؤكد أنك ستفوزين

بيجونيا : أكيد . هل لى أن أسألك أجر سفرى إلى لندن فأنا لا أحب أن آخذ نقوداً من بلكنز وسأرد لك مالك عند ما تصل السفينة إلى بر الأمان وأفوز بالستمائة . . .

سير او : هل تكفيك خمسة جنيهات ؟ يخرج ورقة من ذوات الخمسة جنيهات أخذها شكراً جزيلا ففيها الكفاية والآن إلى دائرتى الصغيرة فالوقت لا يكاد يتسع إلا لحزم أمتعتى واللحاق بقطار الليل وداعا ياسيدى السكرتير يتصافحان بحرارة ؛ الى السير اورفيوس شكراً لك ، شكراً جزيلا وإلى اللقاء أوروفوار تخرج

السكرتير : يا لها من امرأة ! أتظن حقيقة أنها ستفوز ؟

سير او : بالطبع فلديها الشجاعة والإخلاص والجمال والشهرة الذائعة كبطلة جنيف — كل ما يحبه الناخبون عندنا

السكرتير : ولكن ليس فى رأسها أية فكرة سياسية

سير او : وما حاجتها إلى ذلك سيأخذ بيدها مراقبو المجلس حتى تعرف الطريق . . . ولا حاجة لها إلى غير ذلك

السكرتير : ولكنها جهولة وستكشف عن جهلها كل مرة تفتح فيها فمها

سير او : أبداً . أبداً فستعبر عن رأيها بكل صراحة وشجاعة وإخلاص.. لقد سمعتها الآن تقول أن آلافا من الناس فى كمبرول يشاركونها الرأى وأؤكد لك أن مجلس العموم لا يختلف بتاتا عن كمبرول من هذه الناحية

السكرتير : ولكن أتستطيع تصور مثل هذه الحال من غير أن يعتريك القلق ؟

سير او : بالطبع أستطيع فلقد تصورت عضوية ابن أختى من غير قلق

السكرتير : إن العالم قد جن . . . جن جنونه

سير او : أوه . هدىء من روعك ! أنت فى حاجة إلى فنجان من الشاى.. العالم بخير وليس فيه إطلاقا ما يدعو للقلق

السكرتير : يجلس فى مقعده مستلما ويتكلم فى التليفون أعد الشاى لاثنين من فضلك .

الفصل الثالث

صالون فى قصر لاهاى القديم . على منصة متسعة وضع فى صدر مائدة مقعد فخم للرئاسة هو فى الواقع كرسى عرش قديم وصفت الى جانبه المقاعد وعلى المائدة أدوات كتابية وأزرار متصلة بجهاز تليفونى والمائدة تحتل وسط المنصة ، وفى جانبى المنصة على أرض الغرفة صفت مقاعد ليجلس عليها النظارة والمتقاضون والشهود . . . . الخ والنوافذ طويلة ينفذ منها ضوء ساطع بين فخامة الغرفة المذهبة ، وباب القاعة يقع جانبا على يمين الجالس على مقعد الرياسة وهو حاليا غير مشغول . يوحى هذا النظام الرسمى للأثاث أن القاعة معدة لاجتماع ما ، وترى عن قرب سلة للمهملات

ولسكرتير عصبة الامم مائدة صغيرة فى الوسط تحت المنصة من الامام يرى القادم من الباب منظره الجانبى والى ورائه صف من الكراسى يجلس فى أولها اليهودى والسكوميسار والارملة وفى الوسط المقابل تجلس بيجونيا مع شاب مشرق قوى البنية جهورى الصوت ليس من السهل عليه أن يخفف من قوته بحيث يصبح فى المستوى العادى للحديث ، ويلى الشاب « القادم الجديد » باعتبار ما كان ، وكلهم يقرأون الصحف ، وبيجونيا والشاب الذى معها يشتركان فى تصفح مجلة مليئة بالصور ، والشاب يحيط خصرها بذراعه فى غير حياء ، ويتبين من جلستهما التى يستمتعان بها أنهما خطيبان

اليهودى : أتظن أن شيئا ما سيقع حقا ياحضرة السكرتير ؟

السكرتير : قد لا يقع ، على أننى موجود لأثبت ما قد يقع من

استجابة لإعلانات الحضور التى وجهتها المحكمة

الخطيب : القاضى نفسه لم يحضر بعد

السكرتير : ينظر إلى ساعته لم يحن موعد حضوره بعد . أنتم الذين جئتم مبكرين

الخطيب : جئنا مبكرين لنضمن الحصول على مقاعد وهاهى القاعة خاوية إلا من أنفسنا

يدخل سير أورفيوس

سير أو : ما هذا ؟ نحن وحدنا الحاضرون ؟! ألا يسمحون للجمهور بالدخول . . . ؟ !

السكرتير : يظهر أن الجمهور غير مهتم

بيجونيا : لم يحضر أحد سوى صحافية هيفاء أطلت برأسها وخرجت لما لم تجد شيئا . . .

الخطيب : الأبواب مفتحة والكل مرحب به

سير أو : يجلس إلى جانب بيجونيا يا لفشل صديقنا القاضى وخيبة أمله ! لقد حذرته من هذه النتيجة ونصحته بأن يرسل دعوات خاصة إلى ممثلى الصحف وإلى الشخصيات البارزة والزائرين الأجانب . . . وهاهو المكان قاعا صفصفا ليس فيه سوانا ! لسوف تضحك أوروبا كلها وتسخر منه

السكرتير : نعم ولكن إذا كانت المسألة ستفشل فمن الخير أن يكون الحاضرون قليلين ما أمكن

بيجونيا : على أى حال فالحاضرون غير قليلين... أكثر من ستة ثم هم نخبة ، تذكر أنك وزير خارجية انجلترا.. وأنت من الأشراف يا بلكنز وأنا لست نكرة

الخطيب : يقبل يدها ياسيدة الكل ... يامفضلة ... أنت من شريفات الأمبراطورية البريطانية.. لقد مجدت جريدة التيمس بكمبرول عيد ميلادك بقصيدة عصماء أسمتك فيها « زنبقة جنيف » ولكنك - وإن كنت فى وقت ما مركز اهتمام أوربا - إلا أن الاهتمام اليوم مركز فى شىء آخر ، فسخرية الإجراءات الحالية تبدو فى أن هذه المحكمة أعلنت كل الطغاة بالحضور والمثول أمامها والإجابة عن تهم وجهها اليهم كل من هب ودب من الدهماء فى بلادهم أمثال توم ودك وهاريت وسوزان وأليزا

الارملة : عفواً أيها السنيور الشاب فما أنا سوزان ولا أنا أليزا

الخطيب : بالطبع مع استثناء الحاضرين يا سنيورا ... ولكن النقطة المحيرة المزلزلة فى اجتماعنا اليوم ، هى أن جماعة الطغاة قد أعلنوا بالحضور ولكنهم لن يجيئوا وليس للسيد القاضى الفاضل من سلطان عليهم أكثر مما يكون لقطته . . .

الفاضى

القادم الجديد : إذا كانوا لن يجيئوا فلماذا نحن هنا يا سيادة ؟

الخطيب : لنستمتع بموقف القاضى الفاضل عند ما يجيء ولا يجد ما يعمل . . .

الارملة : ألم يتأخر ؟ يخيل إلى أن انتظارنا قد طال أمره

السكرتير : ينظر الى ساعته لقد حان الآن موعده فالساعة العاشرة تماما

يدخل القاضى فى زيه القضائى ـ ينهض الجميع . القاضى فى مزاج عال ويبدو عليه الابتهاج

القاضى : يصافح سير اورفيوس صباح الخير يا سير ميد لاندر يتقدم صوب كرسى القضاء محييا الحاضرين صباح الخير أيها السادة صباح الخير يا مدموزيل . صباح الخير يا سنيورينا . صباح الخير صباح الخير يجلس فى مقعده تفضلوا بالجلوس

يجلسون جميعا بعد أن ردوا على تحاياه بانحناءات صامته

القاضى : ألم يجيء أحد من المدعى عليهم بعد يا حضرة السكرتير ؟

السكرتير : لا أحد يا سيدى القاضى فالجالسون إلى يسارك هم المدعون وإلى يمينك السير أورفيوس ميد لاندر ممثل وزارة الخارجية البريطانية ، والسيدة بيجونيا براون تمثل

لجنة التعاون الثقافى والسيد الشاب هو الجمهور

القاضى : شاهد محايد .. إه ؟

الخطيب : كلا يا سيدى اللورد بل متحيز جداً للفتاة فهى خطيبتى فى الواقع

القاضى : تهانىء الحارة .. هل لى أن أنبهكم جميعا إلى أن الآلات الموضوعة على المائدة أجهزة للاذاعة والتليفزيون ؟ لقد أعددت ذلك منعا للزحام وتسهيلا لسير المحاكمة فاجتماعنا هذا وأن يبدو فى ظاهره خاصا إلا أنه فى الواقع ليس كذلك

يسود الجميع شعور بالتهيب والتحفظ ويجلسون كما لو كانوا فى كنيسة

ليجونيا : ولكن كان ينبغى أن يلفتوا نظرنا إلى ذلك عند دخولنا فبلكنز كان جالسا وذراعه حول خصرى هامسا فى أذنى سخافات لا حصر لها ، ولسوف تتحدث جريدة التيمس بكمبرول غدا عن كل ذلك

القاضى : أنا متأسف كان ينبغى أن تنتبهوا . ففى المحكمة الدولية لا تقف الجدران حائطا بين الناس وبين ما يجرى فى هذه القاعة ولا تمنع المسافات أخفت الهمسات من الوصول

إلى آذان الناس ، كلنا نُسمع ونُرى فى روما وفى موسكو وفى لندن . . فى أى مكان توجد به أحدث أجهزة الاستقبال

بيجونيا : نُسمع ؟ ! أنهم يتسمعون وينصتون إلينا . . ! !

الارملة : ويحدقون النظر فينا كذلك . أن ملابسنا تشف عن أجسامنا تحت تأثير الأشعة الحديثة هذا شىء فاضح ؟ !

القاضى : أبداً ياسنيورا ، فالعلانية فى معيشة الناس جميعا ومعرفتهم أن كل ما يعملونه تطلع عليه العيون وأنه لم تعد هناك بؤر خفية ترتكب فيها الآثام والشرور وتحاك فيها الدسائس والفتن - هذه العلانية قد ترفع مستوى الخلق العام

الارملة : أنا أحتج فما كل خاص شر وأن يكن مما لا يصح أن تراه العيون

بيجونيا : أظن من الأوفق أن تغير هذا الموضوع

الخطيب : ما رأيك فى الطغاة يا سيدى اللورد أتعتقد أن أحداً منهم سيجىء ؟

القاضى : ليس هناك ما يضطرهم للمجىء ومع ذلك فهم يفعلون كل يوم ما لا يضطرهم أحد إلى عمله

سير أو : هذه حقيقة بلا شك ولكنها ليست حقيقة برلمانية

يدق تليفون على مكتب القاضى . القاضى يحرك زرا الى أسفل ويستمع

القاضى : لست فى حاجة إلى أن تنتظر أكثر من ذلك يا سير ميدلاندر فى التليفون نحن فى انتظاره أحضره إلينا يعيد الزر الى مكانه أول الحضور من الطغاة هو السنيور بومباردونى !!!

يدخل الدكتاتور مزهوا بسلطته غير آبه بأحد ، كل ذرة فيه تنطق بأنه رجل الاقدار

بومباردونى: أهذه ما تسمونها المحكمة الدولية ؟

القاضى : أنها هى

بومباردونى: إسمى بومباردونى يصعد إلى المنصة ، يأخذ أقرب المقاعد اليه بيد قوية ويضعه الى يسار القاضى ثم يرتمى فيه بقوة لا ترتبك لحضورى ... استمر

القاضى : أرى لزاما علىّ يا سنيور بومباردونى أن أشكرك لتلبيتك دعوة المحكمة فى الموعد المضروب .

بومباردونى : أنا لا ألبى دعوة أحد أنا هنا لأنى أردت أن أكون هنا ، وإرادتى جزء من إرادة العالم وجزء كبير كما هو واقع ، إن العالم يتجه نحو الدولية ولولا هذه الحركة التى تستمدون منها العون لما توفرت لديكم الجرأة لدعوتى ، فعملكم هذا ظاهرة من ظواهر حركة المدنية وحيثما اكتشفت مثل هذه

الظاهرة كان لى مكان ! مكان الصدارة

سيرأو : لكن معذرة ياسنيور . الذى أفهمه أنك من أنصار القومية المتطرفة ، فكيف يتأتى أن تجمع بين القومية والدولية ؟

بومباردونى: وهل يمكن أن أكون غير ذلك ؟ كيف تبنى بيتاً ؟ تصنع أولا لبنات قوية متينة إذ لا يمكن أن تبنيه من الطين - الدول هى اللبنات التى يجب أن تبنى منهـــا حكومة العالم المستقبلة ، لقد وطدت دعائم بلادى كدولة . . دولة بيضاء ثم ضممت اليها دولة سوداء وجعلت منها أمبراطورية ، وعند ما تتحد الأمبراطوريات سيحكم قادتها العالم وسوف يكون لهؤلاء القادة قائد أعلى يصبح أقدر رجل فى العالم .. هكذا تتراءى لى الأشياء ، أما أولئك الدهماء من حملة الحقائب الذين جاءوا من خمسين دولة أجنبية ضئيلة نافهة والذين يسمون أنفسهم عصبة الأمم فإنى أترك لكم تصور رأيى فيهم .

القاضى : إن بلادك عضو فى العصبة يا سنيور .

بومباردونى: بلادى ملزمة برعاية المغفلين والكتاب المقدس يحدثنا أن لقاء الدب خير من لقاء المغفل ، المغفلون خطرون وما تسمونه عصبة الأمم عصبة للمغفلين ولذلك لم يكن للعقلاء بد من أن ينضموا إليها لرعايتهم ، وهذا هو السبب فى

وجود كل الدول العظمى ذات الشأن فى العصبة إلى جانب تلك الجمهوريات الهزيلة الضئيلة التى سوف نبتلعها فى الوقت المناسب

القادم الجديد : باعتبار ما كان على رسلك أيها السيد فأنا لا أفهم ..

بومباردونى: بازدراء الى القاضى أفهمه أن هذه محكمة لمن يفهمون أما أولئك الذين لا يفهمون فمكانهم هناك .. حيث يعملون فى صمت وانقياد وطاعة عمياء

القادم الجديد : هذا هو نظامك إذن ؟ من أنت حتى أطيعك ؟ وأين الديموقراطية ؟

بومباردونى: أنا من أنا . وأنت من أنت ... وبناء على هاتين الحقيقتين فأنا حيث أنا وأنت حيث أنت حاول أن تستبدل مكانك بمكانى . لأهون عليك أن تغير مسرى الشمس خلال السموات من أن تفعل ذلك

القادم الجديد : إنك تعتد كثيراً بنفسك ؟ أسألك مرة ثانية ما رأيك فى الديموقراطية ؟

يدخل سيد فى منتصف العمر عبوس تحيل القوام معتدله

السيد العبوس : أهذا اجتماع مصلحة العدالة الدولية ؟

بومباردونى: بقفز واقفا باتلر .. ! يا لها من مفاجأة !!

باتلر : مندهشا هو الآخر بومباردونى هذه خيانة ! !

بومباردونى: ظننت أنك تستطيع اختلاس هذه المظاهرة منى . . هه ؟

باتلر : لقد فهمتها ياثعلب !

بومباردونى: يجلس الوقار يا أرنست الوقار ! !

باتلر : الحق معك يا باردو أنا أعتذر يأخذ مقعداً من وراء سير أورفيوس ويصعد الى المنصة ويجلس عن يمين القاضى الذى أصبح محاطا بدكتاتور عن يمينه وآخر عن يساره بإذنك يا سيدى يجلس .

القاضى : أشكرك يا مستر باتلر على إطاعتك لأمر المحكمة

باتلر : ليست الطاعة هى الكلمة التى تؤدى المعنى يا سيدى

القاضى : لقد أطعت . ها أنت هنا ، لماذا ؟

باتلر : هذا بالضبط هو ما جئت لأقف عليه . لماذا أنت هنا يا باردو ؟

بومباردونى: أنا موجود فى كل مكان

الخطيب : بصوت صاخب ها ها ! ! ها ها ها ! يا له من شىء مضحك

القاضى : أنا مضطر إلى أن أطلب إلى الجمهور عدم الابتسام

القادم الجديد : الذى لا يفهم الدعابة ولا يقدرها ابتسام ! لم يكن يبتسم . لقد كان يقهقه . مع كل احترامى لمقامك أقول أننا نضيع

وقتنا فى كلام لا فائدة فيه – كيف يمكن أن يكون إنسان موجوداً فى كل مكان ؟ والسيد الآخر يقول إنه جاء هنا ليعلم لماذا جاء هنا ... كلام فارغ ـ هذان السيدان ممسوسان

بومباردونى: عفواً ولكن ما معنى كلمة ممسوس

القادم الجديد : ممسوس ! ملحوس يعنى مجنون

بومباردونى: أنت من الطبقات المنحطة ـ آها ... لا غرابة فى ذلك

القادم الجديد : لمن تقول ذلك ، من تعنى بالطبقات المنحطة ؟ ألا تعلم أن الديموقراطية قد وضعت حداً لكل ذلك ؟

بومباردونى: بالعكس يا صديقى ، لقد جعلتها الديموقراطية لأول مرة حقيقة بارزة ملموسة ... ألقت الديموقراطية بكلينا فى كفتى ميزان ، خفت كفتك ورجحت كفتى ، ولن ترجح كفتك ما دمتُ متربعا فى الكفة الأخرى .. لقد خلصتك الديموقراطية من سلطان الكهنة والملوك والأعيان والرأسماليين فعلت ذلك لتخضعكم لسلطان الجاذبية الشخصية ، والجاذبية الشخصية قانون من قوانين الطبيعة ولن يستطيع أحد أن يقطع رأسه .

القادم الجديد : تستطيع الديموقراطية أن تقطع رأسه . ولقد قطعت الديموقراطية البريطانية من قبل رؤوسا أضخم من رأسك

بومباردونى: أبداً لقد قطع أصحاب الثروات رؤوس الملوك والكهنة ليسيطروا على السلطان وينهبوا الشعب آمنين من تدخل الملوك والكهنة ، ولكن الشعب يسير دائما وراء زعيمه الذى اختارته له العناية . فإذا لم يوجد الزعيم أو الملك أو الكاهن أو أية هيئة قانونية تستمد سلطانها من ملوك قضوا أو من كهنة — إذا انعدم ذلك وجدت مكانه حكم السوقة وقضاء السوقة وقانون قطاع الطرق والعصابات أو بالاختصار الديموقراطية الأميركية . فلتحمدوا الله على أنكم لم تعرفوا الديموقراطية قط فى انجلترا . لقد أنقذت بلادى من كل ذلك بزعامتى ـ أنا نظام ديموقراطى . . .

القادم الجديد : ديموقراطى ! ! أنت ديموقراطى ! ! لقد ألغيت الديموقراطية ، أبدت الديموقراطية .

بومباردونى: خذ الأصوات على زعامتى . أعمل استفتاء فإذا لم أحصل على ٩٥ ٪ من أصوات البالغين فى البلاد فسأستقيل . إذا لم تكن هذه هى الديموقراطية فما تكون الديموقراطية إذن؟

القادم الجديد : ليست هذه هى الديموقراطية البريطانية . . . ؟ !

باتلر : الديموقراطية البريطانية أكذوبة وأؤكد لك ذلك

القادم الجديد : ما هذا العبث أيها الأجنبى الجاهل . . . فالاستفتاء لا نعرفه

نحن الإنجليز ولا نؤمن به .

بيجونيا : أحسنت . . . أحسنت !!

سير أو : أتسمحون لى بأن أبدى ملاحظة ؟

باتلر : من أنت ؟

سير أو : لست إلا إنجليزياً متواضعاً يصغى بكل احترام إلى حديثكم الممتع الشائق ورسمياً أنا وزير خارجية انجلترا ينهض كلا الزعيمين ويحييانه بالتحية الفاشستية ، بينما يبقى السير أورفيوس جالسا فى مكانه ولكنه يحرك يده محييا فى وقار

بومباردونى: من واجبي أن أنير المحكمة وأوضح لها أنه لم يعد لانجلترا شأن من غيرى فأنا أملى سياستها منذ سنوات يجلس

باتلر : لقد تهجمتُ على انجلترا متحدياً فى كل ما جد بيننا من شئون وأوروبا تتطلع إلىّ لا لانجلترا يستعيد هو الآخر مجلسه

سير او : إنك تلفت النظر يا مستر باتلر ، تلفت النظر من غير شك ، أما أنت ياسنيور بومباردونى فيسرنا أن تملى سياستنا طالما كان فى ذلك صالحنا . والحقيقة أننا فى انجلترا لا نشعر إطلاقا بانتصاراتك ، وإنى لأستمع إلى روايتك لها بمنتهى الارتياح بل إنها لتثير فى نفسى التفكهة — إذا سمحت لى أن أقول ذلك . ولكن يجب أن أحذرك . فإنه إذا أدت

بك انتصاراتك الى اتخاذ خطوات تتعارض مع مصالح الأمبراطورية البريطانية فأخشى أننا سنضطر الى أن نطرح الانتصارات بغتة ونواجه الحقائق ـ وربما لا تكون الظروف مواتية مع الحقائق كما كانت مع الانتصارات

باتلر : وما ذا فى مقدورك أن تصنع .. حقائق أو غير حقائق ..؟

سير أو : لست أعرف .

باتلر
بومباردونى: } لا تعرف !!

سير أو : أنا لا أعرف.. ولا أنت يامستر باتلر .. ولا أنت ياسنيور ...

بومباردونى: أتعنى أننى لا أعرف ما فى مقدورك أن تصنع أو أننى لا أعرف ما يجب على أن أصنع

سير أو : كلاهما يا سنيور

بومباردونى: ما ذا تقول فى هذا يا أرنست ؟

باتلر : أظننى أعرف ما ذا أصنع . ولا شك عندى فى ذلك

سير أو : أتعنى أنك تعرف ما ذا تصنع إذا عرفت ما تنوى انجلترا عمله ..

باتلر : أنا أعرف ما فى استطاعتك أن تفعل . لا شيء لقد مزقت معاهدة الصلح التى عقدتموها وألقيت بها فى وجوهكم فلم تصنعوا شيئاً . وخرقت بثمانية عشر ألفا

من جنودى معاهدة لوكارنو . وأزلت من الوجود حدودا وضاعفت مساحة بلادى وسلطانها - رغم أنوفكم - فما الذى فعلتم ؟ لا شىء .

سير أو : بالطبع لم نفعل شيئا . فلم يكن فى صالحنا أن نفعل شيئا وأى طفل فى السادسة من عمره كان فى استطاعته أن يرى أنه لا يجب أن يفعل شيئاً فكانت النتيجة أنك لوحت بقبضتك فى وجوهنا متهورا متوعدا صارخا « دونكم أن جرأتم » وأخذك قومك على أنك بطل ولكنك كنت تعلم أنك فى مأمن وأننا سوف لا نهتم

بومباردونى: أنت على حق يا صاحب السعادة فغباوتكم وغباوة فرنسا هى التى دفعت بارنست إلى الأعالى فى قطب الطموح السياسى . هذا فضلا عن ميله الغريزى للسلطان . ثم أنه اتخذنى مثالا يحفز همته ويشحذ عزيمته . . دع عنك هذا الازدراء يا أرنست

باتلر : ما أخفيت إعجابى بك قط يا باردو . . إلا أن لك زلات قد تودى بك مالم تتعلم كيف تكبح جماحها

بومباردونى: وما هى هذه الزلات إذا سمحت ؟

باتلر : الغرور . فأنت تحسب نفسك العظيم الأوحد فى الدنيا

بومباردونى: فى عدوه أتستطيع أن تذكر من هو أعظم منى ؟

باتلر : هناك منافسون فى روسيا وبلاد العرب وإيران

بومباردونى: وأرنست العظيم لما ذا تجاهلته ؟

باتلر : سوف نرى . التاريخ لا أنا . . سيقلد الغار لا محالة فى ذلك

القاضى : فلنتغاض عن الأمور الشخصية أيها السادة ، واسمحوا لى أن أعود بكم إلى النقطة الهامة التى وصل إليها السير ميدلاندر

سير أو : وما هى يا سيدى اللورد ؟

القاضى : عند ما تحدّوك عما تفعل بلادك فى حالة نشوب نزاع بسبب تضارب المصالح قلت بصراحة أنك لا تعرف

سير أو : نعم لا أعرف

باتلر : وتسمى نفسك من رجال الدولة . . ؟!

سير أو : أؤكد لك أننى لا أفعل ذلك وهذه الكلمة لا نكاد نستعملها فى انجلترا . أنا عضو فى الوزارة ودبلوماسى بالهواية المتواضعة ، وإذا سألتنى عما يحدث إذا تعرضت المصالح البريطانية للخطر الشديد فكأنما تطلب منى أن أعبر النهر قبل أن أصل اليه ، نحن لا نفعل ذلك أبداً فى انجلترا ، فإذا وصلنا إلى النهر عبرناه أو أقمنا عليه جسرا أو جففناه ،

ومتى فعلنا ذلك لايكون للتفكير محل، إذ نرى أننا نستطيع الوصول إلى ما نريد من غير أن نفكر .. الحقيقة أن التفكير لايجدى كثيراً ما لم تعرف الوقائع ونحن لانعرف الوقائع السياسية إلا بعد مضى عشرين عاما وأحيانا بعد مائة وخمسين .

القاضى : على أية حال لا أظنك تنكر ياسير ميدلاندر أن التفكير ظاهرة موجودة

سير أو : أنت تخيفنى ياسيدى اللورد فأنا لست على استعداد مطلقاً لأن أدع الحقائق الراهنة تفلت من قبضتى ثم أجلس لأفكر فهذا شىء خطير بعيد كل البعد عن الروح الإنجليزية لأنه يؤدى إلى عالم النظريات والمجازفات السياسية وإلى الأحلام والأوهام . . . وموقفى اذا سمحت لى أن أقول ذلك أدعى للراحة من موقف هذين الزعيمين العظيمين اللذين يشرفان هـــذه الجلسة بحضورهما ، صحيح أن أقوالهما تبعث فى النفس المرح بل أن كل عبارة مما ينطقون تجرى مجرى الأمثال وأنا الذى لست إلا إنجليزيا غبياً أنزوى خجلا من عبارتى التى لا رونق فيها ولا رنين . . . ولكنك إذا سألتنى ما هى نواياهم لأجبتك بكل صراحة أننى لا أعلم ،

ما هى حقيقة موقفهم منا ؟ لا أعلم ، ولكنهم يعلمون ما تنوى انجلترا ، يعلمون ما يمكن أن يلقوه منا فخططنا ليست ارتجالية ، كل الذى يهمنا هو أن نتمسك بأمبراطوريتنا البريطانية المحبوبة وأن نتقبل عن طيب خاطر كل ما يمكن أن تفرضه العناية علينا من أعباء . أما إذا شاءت قوة أخرى أو مجموعات من القوى أن تضعنا فى غير مكان الصدارة العسكرية أو البحرية ، والبحرية على وجه الخصوص فإن ذلك من شأنه أن يحفزنا ويستثيرنا فنحن شعب بسيط حسن النية اذا استثرته ثار ، واذا ما استثرنا فلا يعلم إلا الله ما يمكن أن نصنع ، فلا تدفعونا فى هذا الاتجاه وخذونا على علاتنا ودعونا وشأننا ، أستميحكم العفو لخطبتى الجافة المملة ولا يجب أن آخذ من وقتكم أكثر من ذلك .

باتلر : مكيافيلى !

بومباردونى : خطبة مليئة بالمكر والدهاء ولكننا لا نؤخذ بها

القاضى : بل أخذتما .. فهى خطبة أمينة من سيد أمين ولكنكما تأخذانها على أنها ضرب من النفاق البريطانى

بيجونيا : هذه وقاحة كما أسميها . لن أحتمل الجلوس هنا والاستماع

إلى إهانة توجه لبلادى

الخطيب : أحسنت أحسنت ، إلى العلا كمبرول إلى العلا . .

باتلر : ماذا يعنى بقوله « إلى العلا كمبرول » ! ؟ ما هى كمبرول ؟

بيجونيا : أوه ! إنه لا يعرف ما هى كمبرول !

السكرتير : كمبرول يا مستر باتلر جزء من لندن لا ميزة له إطلاقا على أى جزء آخر من لندن إلا أنه فى الجانب الجنوبى من نهر التمز وليس فى الشمال

بيجونيا : ماذا تعنى لاميزة له؟ قد لا يكون ممتازا مثل «مايفير» ولكنه على أى حال أحسن من «بكهام»

بومباردونى: عفواً لجهالتى ولكن ما هى بكهام ؟

بيجونيا : أوه ؟ انه لا يعرف ما هى بكهام : هؤلاء الناس لا يعرفون شيئاً

السكرتير : بكهام جزء آخر من لندن مجاور لكمبرول ولا ميزة له عنه على الاطلاق كذلك

بيجونيا : لا تصدقوه أيها السادة فهو يقول ذلك بقصد أثارتى ، فأهل كمبرول هم صفوة المجتمع فى جنوب لندن ، أما أهل بكهام فهم أحط درجات الطبقة المتوسطة ، هم حثالة الأرض

باتلر : أكبر فيك تعصبك لجنسك ايتها الشابة ولكننى ما زلت أطالب بالإجابة على سؤالى .. ما معنى «إلى العلا كمبرول !؟»

القاضى : أظنها فى لغة جنوب لندن تعادل « هايل باتلر ! »

بومباردونى: ها ... ها ها ! جميل

باتلر : هل يهزأ بى أحد ؟

القاضى : اعتمد علىّ فى حفظ النظام يامستر باتلر ؛ إن السيدة بيجونيا باثارتها لهذه المسألة تقدم لنا معاونة فعالة فهى فى الواقع ترشدنا إلى مايجب علينا النظر فيه . مشكلتنا هى هذه أيقوم السلم بين دول أوروبا العظمى على أساس الخصومة التى لامهادنة فيها بين كمبرول وبكهام . . ؟

سير أو : لا تخدع نفسك ياسيدى اللورد ، أطلق رصاصة واحدة على انجلترا تر كمبرول وبكهام جنباً إلى جنب فى وجهك

باتلر : أتسمع ياباردو . . ؟ هذا الإنجليزى يتهددنا . . ؟ !

سير أو : أبدأ أنا لا أقول لكما إلا ماسوف يحدث فى بعض الحالات الطارئة التى نتمنى مخلصين تجنبها ؛ وإنى فى الحقيقة لا أحمل لكما إلا كل ود وصداقة ، وأبذل غاية جهدى فى أن يتناسق مظهرى مع حقيقة عواطفى واسمحا لى أن أقول بكل احترام أنكما أنتما اللذان تتهددانى .

بل وتستثيرانى كما يشهد بذلك أى إنسان محايد

بومباردونى: نعم ؛ نحن نفعل ذلك فان ذلك يعزز مكانتنا عند بنى قومنا إذ كيف يكون فى وسعنا أن نحتفظ بهيبتنا واحترام الشعب لنا ما لم نواجه بقية العالم بصيحة القتال ؟ .. أتسمح لى أن أوجه اليك انتقاداً شخصيا ؟

سير أو : بالتأكيد . وسأضعه موضع الاعتبار

بومباردونى: إنك فائق الرقة ؛ تكاد تأسرنى برقتك . ولكن هل لى أن أقول أن طريقتك الخطابية لم تعد تلائم الزمن الذى نعيش فيه ؟ قد تبدو فذة فى متحف من المتاحف لنقل فى القسم الخاص بالقرن الثامن عشر ولكن ما قيمتها فى التأثير على جمهور هذا العصر ؟ وعباراتك التى تتشدق بها أبلتها الأيام وأكل عليها الدهر . .

سير أو : أنا لا أفهم ما تقصد . ما الذى تعنيه تماما بطريقتى ؟

بومباردونى: أسلوبك ، إشاراتك ، حركاتك ، تلاعبك بصوتك . الخطابة العامة فن جميل ، وهى كالفنون الجميلة الأخرى لا يمكن ممارستها وإتقانها من غير جهد ومشقة وتدريب طويل .

سير أو : ولكننى خطيب مصقع صقلتنى التجارب . . ولم يقل أحد غير ذلك وأنا كل خطيب شعبى تدربت تدريبا طويلا فيه

جهد ومشقة ليتضح إلقائى ونطقى وكانت المثل البرلمانية ماثلة على الدوام أمام عينى ، وما دمت تقيس الأمور بهذا المقياس فأظن أن هذه عناصر طريقة من طرق الخطابة ، ولكن الشيء الذى يدعو إلى أسفى هو أن تظن أن طريقتى هى طريقة المحترفين .

ياتلر

هذا صحيح ولكن يا لها من طريقة ؛ لقد تأملتها فى بادىء الأمر باندهاش ثم برغبة ملحة فى تعرف كنهها دفعتنى إلى دراستها — لأدرك حقيقتها وما يمكن أن تحمل فى طياتها من قيمة ، إن الغرض من الخطابة العامة فى رأيى — هو أن تبث فى النفوس عقيدة ملتهبة من الحق والجلال تدفع فوراً الى العمل والحماس والإيمان والطاعة ؛ إن طريقتى كطريقة زميلى الذى سبقنى ابتكرتها وأتقنتها لأحقق هذا الغرض ، ولابد أن تعترف بأنها نجحت نجاحا عجيب الشأن احتبست له أنفاس رجالكم وبرلماناتكم ، وإننا لنباشر نفوذا شخصيا تتقطع دون الوصول اليه أعناق الملوك والرؤساء والوزراء ..هذا شيء بسيط ، طبيعى ومعقول ،ولكن لنعد إلى طريقتك؟ ما الغرض الذى ترمى اليه ؟ إن الغرض منها فيما يظهر هو هدم العقائد وشل العمل فصحافتكم الآسنة الراكدة

ومقتطفاتكم من بطون كتب كيكرون اللاتينية . . .

سير أو : إنى أحتج ؛ وألتمس من المحكمة أن تحمينى . . .

القاضى : ما بك ؟ ومم نحميك ؟

سير أو : من هذه الأخطاء المحدثة الفاحشة فى النطق : كيكرون نطق خاطىء أعده إهانة لمدرستى القديمة ، إنى أصر على شيشرون .

الخطيب : عظيم ! عظيم !

بومباردونى: حذار يا أرنست فهذا جزء من الطريقة البريطانية ، لقد كنت تتكلم فى موضوع حيوى هام فحول بدهائه مجرى الحديث إلى موضوع لا أهمية له إطلاقا .

سير أو : أؤكد لك أننى لم أقصد ذلك ، ولا أستطيع أن أقرك على أن الخطأ فى نطق الألفاظ الكلاسيكية أمر هين لا أهمية له بل على العكس من ذلك إنه أمر عظيم الخطر .

القاضى : نحن لا نناقش أهميته يا سير ميدلاندر ولكن ذلك ليس من اختصاص هذه المحكمة ولا يجب أن ندعه يشغلنا عن عملنا الأساسى ، نحن بصدد دعوى معينة عن جريمة معينة ارتكبت ضد فريق معين من البشر ، إنه لجرم شنيع أن تسقط قنبلة فوق مدينة آهلة بالسكان وإنه لجرم كذلك وإن

يكن أقل شناعة أن تبث فى مياه البحر الذى يجوبه الناس جميعاً الألغـــام لتدمر السفن التى تصطدم بها فى الظلام وتودى بهـا إلى أعماق البحار — هذه الجرائم البشعة يرتكبها الشباب . .

سير أو : تنفيذاً للأوامر ياسيدى اللورد وتلبية لداعى الوطن

القاضى : من غير شك ولكن لنفرض أن شابا نشل جيبك وعند ما ضُبط دفع أولا بأنه فعل ذلك إطاعة لأمر شخص ما ، وثانيا بأنه أراد مالك ليسدد ضريبة الدخل — وهذا دافع وطنى نبيل — لنفرض ذلك فهل تقبل هذا العذر ... ؟

سير أو : مضحك ! تذكر يا سيدى بأنه إذا كان أبطالنا الشبان هم القتلة فإنهم كذلك القتلى ، هم يعرضون حياتهم للخطر ويضحون بها

القاضى : فلتضف إلى دفاع نشالنا عن نفسه حجة ثالثة وهى أنه معرض مثلك للنشل فهل تقبل هذه الحجة كذلك ؟

سير أو : سيدى اللورد ! إنى أمقت الحرب كما تمقتها ، ولكن المسألة ليست مسألة مقت فاذا تهجم على شخص ليقطع رقبتى فلا بد أن أقطع رقبته إذا استطعت . أ أمكنه من قتلى واغتصاب زوجى وبناتى ؟

القاضى : أظن أنه فى مثل هذه الظروف يمكن قبول حجة الدفاع عن النفس كأمر مشروع ولكن ما دخل الاغتصاب والقتل فى بث الألغام فى البحار لتقتل المسافرين الآمنين الأبرياء ، الذين ليست لهم أية نوايا نحو شخصك وزوجك وبناتك غير المودة ؟ وما دخل هذا فى إلقاء قنبلة على مهد طفل وادع وسنان أو على فراش امرأة تضع وليدها ؟

سير أو : نحن نحس ذلك ، وهو شىء فظيع ، ولكننا لا نستطيع منعه ، يجب أن ننظر إلى الاشياء نظرة عملية ، مثل هذا كمثل حركة المرور فى لندن فنحن نعلم أن عشرات من الأطفال يموتون بسبب حوادث المرور كل أسبوع ولكننا لا نستطيع أن نوقف المرور بسبب ذلك فهو جزء من الحضارة ، كذلك التعدين ، كذلك السكك الحديدية ، كذلك الطيران ، الإنفجارات فى المناجم وتصادم القطارات وحوادث تحويلات الخطوط وأخطار الطائرات كلها أمور مروعة ولكننا لا نستطيع أن نستغنى عنها وعن التعدين والسكة الحديد بسبب ذلك ، فهى من مقومات الحضارة ، الحرب جزء من الحضارة ونحن لا نستطيع أن نستغنى عنها من أجل حوادثها المروعة .

القاضى : ولكن انفجارات المناجم وتصادم القطارات وحوادث الطائرات ليست أهداف الصناعة وإنما هى عوارضها وهى تحدث رغم كل الاحتياطات التى تتخذ لمنعها أما الحرب فليس لها من هدف سوى إنتاج هذه الحوادث . . أن عمل معدن الفحم وهدفه هو نحت الفحم واستخراجه من باطن الأرض لإشعال مواقد البيوت ولكن عمل الجندى هو تحريق البيوت، وتقتيل سا كنيها ... ليس ذلك من الحضارة وإنما هو مقوض لها

كوميسار : على رسلك يا سيدى القاضى ! ألم تحكم قط على مجرم بالاعدام ؟ وألم ينفذ الجلاد حكمك ؟ أفليس ذلك ضرورة من ضرورات الحضارة ؟

القاضى : إنى أحكم بالإعدام على المجرمين الذين يرتكبون جريمة من شأنها أن تثير التساؤل عما إذا كانوا صالحين للبقاء فى المجتمع الإنسانى ولا يصدر هذا الحكم قبل أن تحق عليهم الإجابة على هذا التساؤل بعدم الصلاحية بعد محاكمة دقيقة تتاح لهم فيها كل الحماية الممكنة والدفاع القانونى الممكن . وهذا لا يبرر عمل الشبان الذين يقتلون الأبرياء اعتباطا ، ولكنه يسوغ لى الحكم على أولئك الشبان بالإعدام إذا قدموا للمحاكمة ،

والأمر الذى نحن مجتمعون هنا للبحث عنه هو لماذا لا يقدمون للمحاكمة ؟

سير أو : ولكن لا تنسى أنهم يطيعون الأوامر ليس إلا

القاضى : لماذا تقول ليس إلا ؟ إن قتل الأرواح البشرية وتدمير المدن ليست من الأعمال التى توصف بكلمة ليس إلا . لم لا يقدم للمحاكمة أولئك الذين يصدرون مثل هذه الأوامر الشريرة ؟

سير أو : ولكن أمام أية محكمة ؟

القاضى : أمام هذه المحكمة إذا اقتضى الأمر ، ربما كنت أجيب عن هذا السؤال فيما مضى بقولى «أمام محكمة العدل الإلهية» أما والناس لم يعودوا يؤمنون بوجود هذه المحكمة أفليس من الواجب أن ننشىء نحن واحدة قبل أن يقضى علينا ذلك التمجيد لسفك الدماء وإعفاؤه من العقوبة ؟

بومباردونى: قد يكون قضاء السلام عليك أنكى وأشد ، فلا بد لتكوين الخلق البشرى من تخصيص ميدان للحرب ، والانحلال يتسرب إلى الناس عندما لا يقاتلون .

الارملة : وعندما يقاتلون يموتون ... ؟

بومباردونى: كلا ، كلا ، نسبة مئوية فقط تكسب القتال حيوية وحماسا

القاضى : أو تسمى الصراع بين رجل ومدفع رشاش أو بين امرأة فى حالة الوضع وسحابة من غاز الخردل - أو تسمى ذلك قتالا ؟

بومباردونى: إنها محنه ، محنة مميتة ، ولكن المحن هى التى يعلمنا ، المحن الحقيقية ، وليست مجرد المبارزة والملاكمة ، والدول لا تعمل شيئا ما لم تصهر بنار الخطر

اليهودى : أليس فى العالم ما يكفيه من الأخطار حتى نضيف اليه خطر الغاز السام ؟

بومباردونى: نعم ! هناك خطر فى أن تبتل قدماك بالماء ولكنه من صفة الكفاح التى تمنح الحرب أثرها الفذ الملهب للخيال ، ومن ثم تؤثر على الشخصيات البشرية ومقدرة الإنسان

الارملة : لقد كنت جندياً فهل زدت بذلك شأنا ؟ أفلم تبتهج عندما أخرجتك جروحك من الخنادق وألقت بك فى المستشفى ؟

بومباردونى: كل الابتهاج ، ولكن ذلك كان جزءاً من التجربة ، ليست الحرب كلها مجداً وليست كلها بسالة فهى توقفك على حقيقة نفسك ! تريك أى جبان رعديد أنت كما تريك أى مقدام باسل أنت ، تعلمك كيف يميت الفزع والشقاء فيك الحس

كما تعلمك كف تسخر من الموت ، سلوا تلميذى هذا فقد كان جندياً هو الآخر وهو يفهم ما أقول

باتلر : كلنا نبدأ كتلاميذ وكما يحدث فى المسرح قد ننتهى إلى ممثلين عظام ؛ كان الجيش مدرسة تعلمت فيها الكثير ومن كان عنده استعدادى للتعلم يستطيع أن يتعلم شيئاً حتى فى أسوأ المدارس ، والجيش هو أسوأ المدارس ، لأن القتال لا يستغرق الوقت كله وهم فى الجيش يدعون غير ذلك ، وينتهى الأمر بأن يجد الجندى المُسرَّحُ نفسه لا يصلح لشىء إلى أن يستعيد شخصيته المدنية ويسترجع عادة تفكيره لنفسه ، كلا يا ابن العم ! أنا رجل سلام ولكن يجب أن يكون سلاما اختيارياً لا نتيجة الرهبة والخوف ولن يكون لهذا السلام من قيمة حتى نُسلح من الرأس الى القدم وأكون على تمام الأهبة لمواجهة العالم كله مدججا بالسلاح

سيراو : عظيم ! موقفنا فى بريطانيا بالضبط

القادم الجديد : أنا بريطانى ورأيى أن الحرب ضرورية لخفض عدد السكان

بومباردونى : هذا الرجل معتوه فالحرب تنشط ازدياد عدد السكان ، قد يسعى الجندى لحتفه ولكنه يخلف وراءه المرأة الحامل التى

تحل محله ، وليست لدى النساء قدرة على دفع الجنود وردهم عنهن وهن يحتقرن الجبان ؛ الموت وهو الخطر الأعظم يوقظ فى الحياة نشوتها الكبرى نشوة الحب ومتى شكا عنصر محارب من قلة النسل ؟

الخطيب : كل هذا جميل وشيق جداً ياصاحبي ولكن فكرة الرجل فى الميدان والمرأة فى البيت فكرة قديمة مضى وقتها ؛ لقد كان البيت دار أمان أيام معركة واترلو ، أما اليوم فالبيت هو الهدف المنشود لقاذفة القنابل ، الجندى آمن فى خندقه بينما المرأة تنسف نسفاً بجانب مهد وليدها ، قتّل النساء فما يكون حال سكانك بعد ذلك ؟ لن تجد لعمرى سكانا أبداً

باتلر : هذا الرجل ليس معتوهاً ، اذ كان الغرض من الحرب هو الإفناء فقتّل النساء ! أما الرجال فأمرهم لايهم

بومباردونى: ليس الغرض من الحرب الأفناء وانما المحافظة على أنبل صفات الانسان وهى البسالة ، الأمن البالغ للمرأة والخطر البالغ للرجل ! هذا هو المثل الأعلى

الخطيب : قل لى يا سنيور . أتتخذ احتياطات ما ضد الاغتيال ؟

بومباردونى: أنا لا أشجع ذلك ولكنه واحد من الأخطار التى يتعرض

لها مركزى ، إنى أعيش فى خطر وذلك يزيد فى قيمة الحياة وقدرها

القادم الجديد : سيدى القاضى ! هؤلاء السادة ينطقون لغوا

القاضى : كل الساسة حديثهم لغو ، أظنك تعنى أن هذا اللغو ليس مما تعودت أن تسمع ...

القادم الجديد : كلا ، فقد تعودت الاستماع إلى رجال الدولة وهم يتحدثون حديث الساسة المحنكين ، أما ما أسمع الآن عن المعيشة فى خطر فإنى أراه لغوا أتريدنى عند ما أعبر الطريق ألا أتلفت لأرى إذا كانت هناك سيارة قادمة ؟ أو يلغى استعمال أنوار المرور الصفراء والحمراء ؟ ! أفأنام فى مستشفى للجدرى ؟ ! أفأعبر النهر على حبل مشدود بدلا من عبوره على الجسر ؟! أفأتصرف كرجل مخبول أم كرجل عاقل ؟ !

بومباردونى: لتكونن أعظم شأناً إذا استطعت أن تمشى على حبل مشدود بدلا من أن تتطلب جسورا حجرية وافرة المساحة يستغرق إنشاؤها سنين طويلة من العمل الشاق

سير أو : أتعنى جاداً أنه ينبغى أن تحكمنا ارستقراطية من البهلوانات ؟

بومباردونى: أوترى هذا أكثر استحالة من الأستقراطية البريطانية صيادة الثعالب ؟

سير أو : يا سنيور . ليس البهلوانات صادة ثعالب

بومباردونى: وليس السادة بهلوانات ويا للأسف !

القادم الجديد : يا إلهى ما فائدة الكلام مع أمثالكم ؟ هل أنا فى حلم أم أنا سكران ؟

بومباردونى: كلا يا صديقى ولكن أنى لك أن تجارينا وليس هذا مكانك، والآن الى العمل ، القوة ، الصمت ، النظام ، أنا هنا لملاقاة الذين يتهمونني فأين هم ؟

القاضى : إنك متهم على ما يبدو بخنق الحريات ووأد الديموقراطية فى أوروبا

بومباردونى: لا يستطيع الإنسان أن يخنق شيئاً لم يوجد قط ، وفضلا عن ذلك فهذه الأمور لا تعنينى ، كل الذى يعنينى هو الحكومة ؛ الحكومة عملى وأنا أمنح شعبى حكومة صالحة بالقدر الذى يسمح به سخفه وجهله . فما الذى يحتاج اليه الشعب أكثر من ذلك ؟

القادم الجديد : لماذا يحال بينى وبين برلمان جاكسونلاند الذى انتخبت لعضويته انتخابا قانونياً . خبرنى

بومباردونى: لأنك فيما أعتقد تريد أن تعطل عمله وتحط من شأن زعمائه، إن ستة من المعطلين أمثالك يستطيعون أن يمدوا فى حبال

العمل الذى أتممه أنا فى عشر دقائق سنوات ؛ إن العالم لم يعد يحتمل أمثالكم أكثر من ذلك وإن مكانكم فى صندوق القمامات

القادم الجديد : لا داعى للاستمرار فى المناقشة فأنا عاجز عن مجاراتك فى هذا الميدان ، ولكن هذا لا قيمة له عندى فما أزال محتفظاً بمبادئى ، هذه هى كلمتى الأخيرة فلتستمر إذا شئت فى جدلك وسخافاتك

بومباردونى: جاء دورك يا ابن العم

باتلر : هل أنا متهم ؟ وبم ؟

اليهودى : ناهضا بالقتل . متهم بمحاولة إبادة زهرة الجنس البشرى

باتلر : وما الذى تعنيه ؟

اليهودى : أنا يهودى

باتلر : أى حق لك فى بلادى ؟ إنى أطردك ، وأوصد فى وجهك أبواب بلادى كما يطرد الانجليز الصينيين فى استراليا وكما يطرد الأمريكيون اليابانيين فى كاليفورنيا ويوصدون دونهم الأبواب

اليهودى : لماذا يطرد البريطانيون الصينيين ؟ لأن الصينى عامل مجد ، مقتصد قليل التكاليف جدير بالثقة ، ومن أجل هذه الصفات

لا يمكن ان يستخدم أحد عاملا بريطانيا أبيض طالما كان العامل الأصفر موجوداً، وأنتم لماذا تطردون اليهودى؟ لأنكم لا تستطيعون مباراته فى ذكائه ومثابرته وبعد نظره وتمكنه من ناصية المال، إنكم تخشون كفاياتنا وفضائلنا لا رذائلنا

باتلر : أو.. لا توصد فى وجهى الأبواب من أجل فضائلى أنا الآخر؟ ليس من المسموح لى أن أضع قدمى فى انجلترا إلا اذا تعهدت بأن لا أباشر أى عمل هناك وأن أعود الى بلادى فى خلال أسابيع قليلة ؛ الأجنبى فى كل بلد دخيل وعلى كل ساحل يقف فى وجهه ضباط يقولون له لن تطأ قدمك ارض بلادنا من غير جواز وأوراق اعتماد، وإذا كنت من جنس أو لون معين لا يسمح لك بالنزول أبدا ، ألم تزج بريطانيا بأوروبا فى معمعان الحرب ؛ ألم تؤثر ذلك دون السماح للجنود الألمان بالمرور فى أرض بلجيكا . وكل بلد ينتقى سكانه ويختار الدم الذى يكون عنصره . ولقد ارتأينا ان يكون قوامنا دم العنصر الشمالى لا الحيثى ! هذا هو كل ما هنالك .

اليهودى : أليس اليهودى بشرا ؟ أليس له حق الاستقرار والإقامة فى أى مكان على ظهر البسيطة

باتلر : ليس له هذا الحق ما لم يحمل جوازا .. هذا هو قانون الدول .

اليهودى : لقد ضربت ونهبت .... أهذا هو قانون الدول ؟

باتلر : أنا آسف إذ لا يمكن أنا أكون فى كل مكان ، وليس عمالى كلهم ملائكة

اليهودى : مزهوا بالانتصار آه ! إذن فلست الإله القادر على كل شىء كاتدعى للقاضى سيدى القاضى هذه ترضية كافية فقداعترف بجرمه يرتمى فى مقعده

باتلر : كذاب ، فلن يقنع يهودى قط .. كفى ، لقد أنذرتك . ابتعد عنى فلا تُضرب أو تنهب . أبتعد أقول لك . وفى العالم متسع لكلينا ، اما بلادى فلا ...

اليهودى : إنى أفوض أمرى للمحكمة ... جنسى لا يعرف الحدود الجغرافية وعلى الذين يقيمونها أن يبرروا عملهم

بومباردونى: يا حضرة الرئيس . اذا تركت ارنست ليقول كل ما بدا له فى المشكلة اليهودية فلن ننتهى . كان من الواجب عليه ان ينتظر إرشادى قبل أن يقدم على هذا العمل ويضطرنى الى نفى اليهود حتى لا تجرف جموعهم التى يطردها بلادى . نعم كان عليه أن ينتظر ولا بد أن أضيف هنا الى أنه لا شأن لى

بالزعماء الذين لا يترسمون خطاى

باتار : أنا لست ممن يترسمون خطاك ، فمتى كان لأبناء الشمال أن ينزلوا من عليائهم ليتبعوا أبناء الجنوب اللاتينيين

بومباردونى: أتنسى أن لبلادى شمالا كما أن لها جنوبا ، شمالا تبدو جبالكم الألبية الأقليمية الضئيلة إلى جانب جباله كـكثبان الثمال . وأن ثلوج هذه الجبال وسفوحها وهياراتها الثلجية وريحها الصرصر العاتية هى التى تكون الرجال يا أرنست. الرجال ! إن جنة المتنزهين التى أنجبتك تنجب المطربين الذين تجاجل أصواتهم فى الأوبرات الغنائية ، إنك رقيق فائق الرقة يا أرنست . وتظن نفسك وحشاً أشقر . أيها السيدات والسادة أنظروا اليه ! أهو وحش أشقر ؟ إن أشقر الوحوش التى أعرفها هو «الثور الكالبرى» ليست لدى الرغبة فى أن ألعب دور الوحش الأشقر على أنى أستطيع أن أقوم به خيراً من أرنست إذا لزم الأمر . إنى شمالى بكل ما تحمل هذه الكلمه فى طياتها من معان . أما هوفمن أبناء الجنوب مولدا والجنوب جنوب سواء أكان جنوب الدائرة القطبية أم جنوب خط الاستواء ، لاقيمة للعنصر وإنما العبرة بمستوى الارتفاع عن سطح البحر ، هذه الأمتار المرتفعة فوق سطح

البحر هى التى تسكب الفولاذ فى الرجال وصديقنا هذا ولد فى مستوى متوسط الارتفاع ، إنه فنان لحما ودما . ولكن لعبته المفضلة عندما كان صبياً لم تكن تحدى الهيارات الثلجية ، أما مسألة الأجناس فإنها مختلطة جداً حتى أن الجنس البشرى كله لا بد يرجع أصله الى ابراهيم ، وكل حى الآن لابد أنه انحدر من كل حى كان أيام ابراهيم وأرنست نفسه له من ابراهيم نصيب

باتلر : هذه إهانة لا تحتمل ، إنى أطلب الترضية لو لم تكن أثقل منى وزنا على الاقل بعشرة كيلوجرامات للطمت رأسك بقبضتى ، ولكنى مستعد لمنازلتك بأى سلاح يجعلنا فى موقف متعادل

القاضى : أيها السادة ، أنتم فى لاهاى وفى محكمة العدالة ، المبارزات شىء انقضى حينه وحياتكما أثمن من أن تهدر بهذه الكيفية

بومباردونى: أنت على حق يا صاحب السعادة ، إنى أعترف بأن باتلر غير معروف الأصل إطلاقا ، وأعتذر

باتلر : لست فى حاجة إلى اعتذار ، إنى أريد ترضية ولن تسلبنى إياها باعتذارك ، أأنت جبان ؟

بومباردونى: كلا ناجبان ياأرنست، تذكر سنة ١٩١٨..! كل الناس جبناء الآن .

باتلر : ينهض ساعود إلى بلدى

الارملة : تنهض لن تعود ، أعند ما يجد الجد وتصل المحكمة إلى صميم عملها تفرون ؟ إذا تحرك أحد منكم من مكانه أطلقت عليه النار

ذعر

بومباردونى: ارفع يديك يا أرنست يرفع يديه فى أدب

الارملة : أصغوا إلى ، فى بلادى يتبارز الناس كل يوم فاذا امتنعوا دخلوا فى زمرة المنبوذين لا يزورهم أحد ولا يخاطبهم أحد وتنبذ نساؤهم من المجتمع كما لو كن مجرمات

باتلر : كان الأمر كذلك فى بلادى ولكنى أوقفته

القاضى : ومع ذلك فانت نفسك تدعو للمبارزة

باتلر : للترضية لا للعرف

الارملة : نعم هذا هو مايطلبه الرجال دائما ، انظروا إلى ، أنا قاتلة .. اهتمام عام كان زوجى يرغب فى ترضية من نوع آخر حصل عليها من أعز صديقاتى وحتم على العرف أن أقتلها ، والليلة بعد الليلة يلم بى طيفها فى المنام مستغفراً نادما ، ولكنى كل مرة لا أجد مناصا من قتلها ، لطالما تمنيت أن يتملكنى الجنون ولكن أنى لى ذلك ، فى كل مرة أرتكب هذه الفعلة

الشنعاء يطلع علىّ الصباح وأنا أصفى ذهنا وأجلى نفسا، وتتمثل لى فعلتى مروعة مخيفة متعمقة فى قرارة نفسى باعثة فى أضنى الآلام وأعنفها

باتلر : متراجعا أسكتوها . لاأستطيع تحمل ذلك...

بومباردونى: من هذه المرأة ؟ وبأى حق هى هنا ؟

الارملة : اسمى الثأر ، اسمى الغيرة . اسمى العرف ، اسمى القانون غير المكتوب ، إن لم تقضوا فى شأنى فأنتم لم تعملوا عملا

القاضى : إن لك قضية معينة فاعرضيها

الارملة : لقد قُتل زوجى، قتله خلفه ، ولامفر من أن يقتل ابنى هذا الخلف ما دام الحكم لشريعة الدماء وسأظل أحلم وأحلم وأقتل وأقتل .. انى ألجأ اليكم وأدعوكم للحكم عليه

بومباردونى: وللحكم عليك أيضا

الارملة : سأحكم على نفسى ، أصدروا حكمكم على وسأنفذه بنفسى ، هنا فى هذه المحكمة إن شئتم

القاضى : ولكن ألاتعلمين أن أحكام هذه المحكمة لاتستتبع التنفيذ ؟ وإنما هى أحكام أدبية فقط

الارملة : أعلم ذلك كل العلم ، فى مقدوركم أن تجعلوا أصبع العالم كله

يشير على قاتل زوجى قاتلا ، أنت مدان بجريمة القتل ، فى مقدوركم أن تصموا جبينى بنفس الوصمة ، هذا هو كل ما عليكم عمله ، وعند ذلك ستنقطع أحلامى فأقتل نفسى ، أما هو فليتحمل هذه الوصمة ما وسعه الاحتمال

القاضى : إن ذلك هو قضاء هذه المحكمة ، وأنى أشكرك يا سنيورا لإدراكك حقيقة عمل المحكمة

باتلر : وقد أحزنته الرواية أنا لا أستطيع احتمال هذا ، امنعوا هذه المرأة عن قتل نفسها

بومباردونى: كلا . إذا كانت روحها رومانية فمن ذا يجرؤ على منعها ؟ !

القاضى : إن نفوذى لا يذهب إلى هذا الحد يامستر باتلر ؟

باتلر : إن نفوذك يمتد إلى الحد الذى تجرؤ على دفعه اليه وإلى الحد الذى تطاع عنده . أى نفوذ لى ، وأى نفوذ لباردو ؟ وأى نفوذ لأى زعيم؟ نحن نأمر فنطاع ، ذلك هو كل مافى الأمر

بومباردونى: هذا صحيح يا سيدى القاضى ، النفوذ نوع من العبقرية ، والعبقرية هبة للبعض دون الآخرين . فإما أن تطاع وإما أن تمزق إربا ، ولكن النفوذ يسمو فى بعض النفوس وفى بعض الحالات فمن هذه النفس الرومانية التى تتميز فى هذه الحالة بثباتها أن حياة هذه المرأة ملك لها تتصرف فيها كيف شاءت

باتلر : كلا ! أنا لا أستطيع احتمال ذلك ، إمنعوها عن قتل نفسها أو أغادر المحكمة

القاضى : يا سنيورا ! إنى أمنعك من قتل نفسك ولكنى سأحكم على قاتل زوجك عند ماتثبت إدانته وبهذا الحكم سأخلصك من أحلامك ووساوسك

الارملة : شكراً لك ياسيدى المجلس

القاضى : أيرضيك هذا يا مستر باتلر .

باتلر : أشكرك بدورى ياسيدى ؟ هذا يرضينى يستعيد مجلسه ولكن عواطفه لم تهدأ بعد

بومباردونى: لا مبارزة إذن ؟

باتلر : لا تعذبنى بصبر نافد باردو إنك أحمق

بومباردونى: وقد فاض سروره ها . ها ! الى القاضى فلتعتبر الحادث منتهيا

تدخل سيدة انجليزية ، نصف ، جذابة ، فياضة الحديث فى ثياب راهبة وفى يدها حقيبة ملأى بالاوراق الدينية .

الراهبة : أتسمحون لى أن أخاطب المحكمة ؟ تواصل الكلام من غير انتظار للاذن

يغمرنى شعور قوى بأن من واجبى أن أفعل ذلك ، فى العالم حركة هى فى قلبى كذلك ، حركة تتضاءل أمامها الحروب كلها والاساءات كلها والمظالم كلها والآثام كلها والآلام

كلها ، تتضاءل وتتلاشى وتجعل جنيف شيئا لا حاجه اليه ،
إنى أتكلم من تجاربى الشخصية وأستطيع أن أذكر لكم
شهوداً عديدين تجاربهم مثل تجاربى و . . .

بومباردونى: لها فى صوت كالرعد أيتها السيدة إن المحكمة لم تأذن لك
بعد بالكلام !!

الراهبة : دون أن تغير مقاطعته أى اهتمام الأمر فى غاية السهولة، والسعادة
التى يجلبها فى ركابه رائعة علوية ! كل ما عليك أن تفعله هو
أن تفتح قلبك للسيد !!

باتلر : أى سيد ؟ أنا السيد

بومباردونى: هناك أسياد أخر يا أرنست

الراهبة : لو علمتم ما كنت عليه وما صرت اليه الآن لادركتم أن
ماتفعلون هنا عبث لا نفع فيه

باتلر : صائحا من هو السيد ؟ سمه

الراهبة : اخفض من صوتك، أرجوك فلست صماء ، ولكن الانسان
عند ما يصغى إلى الصوت المنبعث من الاعماق يصعب عليه
استماع الأصوات الخارجية

باتلر : ما أنا من الأصوات الخارجية ، إنى زعيم شعبى وقد أصبح
زعيما لشعوب كثيرة ، من هو هذا السيد الذى تتكلمين عنه ؟

الراهبة : اسمه المحبوب ياسيدى «ياسوع» وأنا واثقة أنك عندما كنت طفلا علمتك أمك أن تقول « لاسمك المجد يا يسوع »

الخطيب : « ولتخر لك الملائكة ساجدين »

بيجونيا : أقفل فمك يا بلكنز أنا لا أسمح لك بأن تسخر من الدين

بومباردونى: فى بلاد إرنست يا سيدتى يقول الناس المجد لباتلر فقد ألغى يسوع

الراهبة : كيف تجرؤ على قول ذلك ، يسوع أقوى منه فى أى زمن مضى، يسوع لايقاوم . . قد تستطيع أن تجمع قلوب شعبك على محبتك ولكن عيسى يستطيع أن يجمع قلوب العالم أجمع على محبته وأن يوحدها فى هذا السبيل ، سيبقى حياً بعد أن تعودوا إلى التراب ، هل تستطيعون أن تجدوا السبيل إلى قلبى كما وجده يسوع ؟ هل تستطيعون أن تصلحوا البشر كما أصلحهم يسوع هل . . .

باتلر : لقد جعلت من شعبى رجالا ونساء أمة صالحة وقفت حياتى لهذا الغرض وحده ، عندما جئت كانوا منهزمين، مستذلين ، موطئاً لأقدام أوروبا ، أما الآن فإنهم يرفعون رؤوسهم شمماً وإباء ، فعلت ذلك أنا باتلر ، رفعت رؤوسهم ليبصقوا

فى وجوه ظالميهم

الراهبة : إن يسوع لا يبصق فى وجوه الناس ، إذا كان قومك قد صلحوا حقا وخلصوا حقا فالمسيح هو الذى فعل ذلك وما أنت يا سيدى إلا أداة

القادم الجديد : كلمة عن النظام ياسيدى . أهذه محكمة للعدالة أم لا ؟ أيسمح لكل امرأة متهوسة بمقاطعة المحاكمة وإزعاجنا بتبشيرها ؟ إنى أحتج !

الراهبة : لا فائدة من احتجاجك يا صديقى ، فعند ما يدعو يسوع لا مناص من أن نتبعه

القادم الجديد : سخف . أين البوليس ؟

القاضى : من خصائص هذه المحكمة يا سيدى أن ليس لها بوليس . إن السيدة تثير نقطة تهم الجميع ، نقطة يجب الفراغ منها قبل أن نصل إلى نتائج ذات قيمة ، إنى أقرر أن المسيح خصم فى هذه الدعوى

القادم الجديد : إنك متهوس كالسيدة وليس لدى ما أقوله أكثر من ذلك يستعيد مجلسه مشمئزاً

اليهودى : خصم بأى صفة — هل لى أن أسأل ؟ إنى أتكلم كيهودى اذا سمح لى مستر باتلر

القاضى : بصفته نبيا مشهورا وضع أساسا للقانون بهذه الكلمات :
« إنى أصدر اليكم أمرى بأن تحبوا بعضكم بعضا ، فهل أنتم
على استعداد لأن تحبوا بعضكم بعضا

الجميع عدا سير أو : صائحين فى ضجة كلا

سير أو : ليس إطلاقا من غير تمييز

البريطانى الثانوى : أحسنت . أحسنت !

سير أو : فما الرأى فى المحرّم حبهم على الناس ؟ يهوذا الأسخريوطى
مثلا ؟

الراهبة : لو كان يحب السيد لما خانه ، يا له من دليل على صدق رسالتى

بومباردونى: أتحبين ارنست هذا ؟

الراهبة : بالطبع أحبه بكل حنان

ياتلر : أيتها المرأة لا تأخذك الجرأة ؟ !

بومباردونى: ها . . ها ! ها !

الراهبة : ولم لا أحبك ؟ ألست أختك فى المسيح ؟ وما الذى يضيرك
فى هذا ؟ أو ليست حساسيتك مصدر شقـــاء لك ، فى
استطاعتك أن تتخلص منها .. الجأ الى المسيح وهى تسقط عن
كاهلك كما يسقط الحمل الثقيل ، وعند ذلك تخف موازينك
وتصبح فى عيشة راضية ، إنك لم تسعد أبدا أرى ذلك فى عينيك

وفى تقاطيع وجهك

بومباردونى: إنه يتدرب على اصطناع هذا الوجه المخيف ساعات كل يوم أمام المرآة إنه ليس وجهه الطبيعى ، أنظرى إلى وجهى ترىْ وجها حقيقيا .

الراهبة : ليس فى عينيكما ذلك النور الذى يبعثه حب المسيح ، وليس فى تلك الوجوه التى تشقوْن فى اصطناعها بارقة من النعيم ، ألا تتعبون من اصطناع هذه التعابير طول النهـــار ؟

ضحك شديد من الجانب البريطانى

باتلر : كيف يسمح بهذا ؟ إن المرأة تسخر منا

الراهبة : أنا لا أسخر من أحد ولكنها إرادة الله أن يجعل من الرجال الذين تصغر أحلامهم فيرون فى أنفسهم آلهة - يجعل منهم موضعا لسخرية الناس فليس لنا إلا أن نضحك منهم

بومباردونى: أيتها المرأه لو أنك ممن يعملون لله لعلمت أن الله لا يعمل لنفسه وأننا هنا نعمل له ، واذا أهملنا فى أداء هذا العمل فإن العالم يتردى فى هاوية الفوضى التى يسمونها الحرية والديمقراطية حيث لا عمل وإنما كلام فى كلام بينما الناس يهلكون . إن ماتسميه عمل الله بل أشق أعماله وهى الأعمال السياسية لا يمكن أن يقوم بها كل واخد إذ ليس لديهم

الوقت ولا العقل ولا الهبة الإلهية ، ولقد أنعم الله بهذه الهبة على قليلين . لايختارهم الناس وانما يختارون أنفسهم ! وهذا هو جزء مما يوحى به اليهم . وعندما يقدمون على عمل ذلك ما الذى يحدث ؟ من بين أطلال الفوضى المعروفة باسم الديموقراطية والحرية ينبعث البنيان ويتحدد الهدف ويقوم النظام والتنفيذ السريع

القادم الجديد : نعم التنفيذ السريع فى الأرواح ، اننا نعلم من هم الطغاة

بومباردونى: نعم فنحن نكتسح الغوغاء والسفسطائيين ، فهذا السفسطائى لا يرى من وراء سفسطته غير الخطر المحدق الذى يقلب سفسطته حشرجة من الرعب القاتل ؛ ان أمره هين ؛ فحاكمه الذى اختار نفسه يمسكه من قفاه ويلقى به فى جزيرة ما أو فى معتقل حيث يستطيع هو ومن على شاكلته أن يسفسطوا ما شاءوا دون أن يعطلوا تنفيذ مشيئة الله وبعد هذا تجىء هذه السيدة الشقية وتأمرنى بأن أتوجه الى الله .. لا حاجة بى لذلك ، فان الله قد توجه الى وسأبذل كل ما فى وسعى حتى لا أخيب ظنه فىّ على الرغم من سفسطائى الديموقراطية والحرية ، لقد قلت كلمتى وجاء دورك يا أرنست ان كان بقى لك ما تقوله

باتلر : لقد قلت كل شيء بأسلوبك القديم الذى لا يتمشى مع العصر وربما كان سردك للأمر أوضح مما كنت أستطيع، ولكن حكايات هذه المرأة الخيالية لا تتضمن تفسيراً عنى، أنا إرنست باتلر الذى ولد نكرة والآن أتربع فى مركز القيادة فوق كل الملوك والقياصرة ولا يقوم على تأييدى يهودى ميت وإنما حركة جبارة فى تاريخ العالم، ولقد دفعتنى هذه الحركة الى أن أمد يدى وأنتشل بلادى من الوهدة التى سقطت فيها وأنتم وحلفاؤكم تدوسونها بأقدامكم؛ ثم جعلتها مرة أخرى مصدر الرهبة فى أوربا ولو أن الخطر مصدره قلوبكم الآثمة وليس حقدا فى نفسى، ولا يغب عن بالكم أن أحلامى لا تقف عند حدود بلادى ولا عند أية حدود.. لا تسيئوا فهمى. فما أنا بجندى يحلم بفتوحات عسكرية انما انا من انا وقد عملت ما عملت من غير أن أكسب معركة واحدة. لم هذا؟ لأنى ضربت بمعتقداتكم اليهودية وتقاليدكم الرومانية ومعاهداتكم التى لا نفع فيها، وتهديداتكم الفارغة والشتائم القبيحة التى قذفتمونى بها من منابركم وصحفكم شأن الجبناء، ضربت بها كلها عرض الحائط عليكم جميعا ان تترسموا خطاى لأنى أسير مع

الزمن ، أسير كالرائد لا كالتابع ؛ وأنى كرائد أرى أن العقبة الحقيقية للتقدم الانسانى هى تلك العقلية التى كونتها فى مهدها التعاليم اليهودية ، هذه العقبة يجب أن أحطمها تحطيما تاما مهما كلفنى الثمن ، وهذا ما يجب عليك أيضا يا باردو اذا أردت أن تكون سيد نفسك لا آلة لهذا الجنس الملعون

كوميسار : أنا مضطر لأن أتدخل ، أنحن هنا لمناقشة المشكلة اليهودية ؟ إذا كان الأمر كذلك فليس لى عمل هنا ! فبلادى حلت هذه المشكلة ولكن بغير السباب والشتائم

بومباردونى: السباب والشتائم ؟ أتوصف إجراءاتنا بانها سباب وشتائم ومن بلشفى ؟

السكرتير : لا أمل فى أن نستمر فى عملنا من غير تعطيل فما عليك إلا ان تذكر لفظ يهودى للهرباتلر أو بلشفى للسنيو بومباردونى حتى يفقدا الرشد وماعليك إلا أن تقول بكهام لممثلة اللجنة الثقافية لعصبة الأمم حتى تتكشف عن محاربة عنيدة ، وما عليك إلا . . .

بيجونيا : ما هذا الكلام الفظيع الذى يقوله عنى ؟ ما الذى يعنيه ياعماه ؟

سير أو : الذى فهمته أن السكرتير يعنى أنه مع اتساع أفقك وتقديرك للأخوة الإنسانية فإنك تصرين على أن تستثنى بكهام من ذلك

بيجونيا : فعلا ، لا تذكروا بكهام أمامى ، ولا تنسوا أننى فى هذه المسألة أتصرف كامرأة ، آسفة لمقاطعتك . استمر أيها السيد

السكرتير : شكراً لك يا سيدة بيجونيا ولا بد لى من أن أضيف مع عظيم احترامى لوزير خارجية بريطانيا أنه ماعليك أن تذكر له الامبراطورية البريطانية حتى تكتشف ان بقية العالم فى نظرة ليس إلا وسيلة لتنمية مصالح ذلك التعبير الجغرافى

سير أو : الامبراطورية البريطانية بالتأكيد شىء أكثر من تعبير جغرافى ولكنها طبعا بالنسبة لى تجىء أولا

السكرتير : بالضبط وكأساس للتفاهم والاتفاق اقترحت هذه السيدة السياسة التى دعا اليها المسيح

الراهبة : أحبوا بعضكم بعضاً ، الأمر فى غاية السهولة

السكرتير : ولكن الحاصل هو أننا لا نحب ولا نستطيع أن نحب بعضنا البعض — وأن المشكلة التى تواجهنا هى كيف نقيم السلام بين قوم يكرهون من قلوبهم بعضهم البعض ولديهم

من الأسباب ما يدعو لهذه الكراهية ، الخلاصة هى أن الجنس البشرى لا يتألف فى الوقت الحاضر فى مجموعه أو حتى فى أغلبيته من أناس قادرين على حب بعضهم بعضا

الراهبة : ولكنى اؤكد ان هذا لا أثر له ، فهناك طريقة جوهرية لم نتعلمها

سير أو : ماذا ! كنى حديثا عن الطريقة ! قبل مجيئك يا سيدتى اتهمت بان لى طريقة . أفلا نستطيع أن نسير على الدرب المألوف ؟

الراهبة : ولكن هذه الطريقة سهلة جداً . لكم أحقادكم ولكم إحنكم ولكم نزواتكم كل ماعليكم عمله هو أن تلجأوا الى يسوع .. وهو يخلصكم من اثقالها سيظهر لكم أنها كلها من صنع الخيال سيملأ قلوبكم بمحبته وفى هذا الحب يكن السلام الأزلى إنى أعرف كثيرا من الحالات ، أعرفها من تجاربى الشخصية

الكونتيس : انك سيدة لطيفة ولاشك أن هناك كما تقولين حالات أخرى

الراهبة : أوه لم أكن سيدة لطيفة — بل كنت شيطانة مريدة ، تأكلنى الغيرة ، أهوى المنازعات ، تفيض نفسى بالوساوس سريعة التأثر كمستر باتلر ، منتفخة الأوداج كالسنيور بومباردونى

باتلر : عفوا . ما معنى سريع التأثر ؟

بومباردونى: أنا لاأعرف معنى منتفخ الأوداج ، فما الذى أفهمه منها ؟

الراهبة : أنظر إلى قرارة نفسك ، أنظر الى قرارة نفسك وأنت تفهم. لقد لجأتُ الى يسوع وها أنت ترانى سعيدة ، وهاهو ذا السيد الكريم يتلطف فى وصفى ، لمَ لاتفعلون كما فعلت ؟ الأمر فى غاية السهولة

بومباردونى: لأسهل من ذلك أن تقوم قوة من رجال البوليس الأكفاء بهراواتهم الغليظة على حمايتك ، ما كان عليك أن تحملى عبء الحكم ياسيدتى

الراهبة : بل كان علىّ أن أحكم نفسى ياسيدى ، ويحكمنى الآن يسوع

القاضى : فلتكن الكلمة الأخيرة للسيدة يا حضرة الزعيم ... استمر يا حضرة السكرتير

السكرتير : كلا لقد قلت الكفاية وها أنت ترى استحالة عملى هنا كسكرتير لعصبة الأمم ؛ إنه لما يؤلمنى أن أضطر إلى سماع كل هذا الحديث مع علمى بأنه لن ينتهى إلى نتيجة ، ترفق بى ياسيدى ولنؤجل الجلسة إلى ما بعد الغذاء .

القاضى : إن وقت الغداء لم يحن بعد ياحضرة السكرتير ، على أننا لم نمكث هنا إلا أقل من ساعة

السكرتير : يخيل إلىّ أنها عشرون سنة .

القاضى : أنا آسف ياحضرة السكرتير ولكنى أنتظر وصول أحد

المدعى عليهم: الجنرال «فلانكودى فورتنبراس» فهو لم يظهر بعد وهو متهم بتقتيل آلاف عديدة من مواطنيه لأسباب لم تعلن بوضوح

بومباردونى: ولكنه لم ينتخب زعيما بعد، هو عسكرى ليس إلا

كوميسار: إن نصف أوروبا تعتقد أنه تابعك

بومباردونى: ليس لى توابع، ولكن ما دام فلانكو يجاهد ليخلص بلاده من أهوال الشيوعية فهو محل عطفى.

كوميسار: ويدخل فى هذا المساعدة بالرجال والمدافع ...؟!

بومباردونى: أنا لا أملك أن أمنع رجالا مخلصين من الانضمام إلى حرب صليبية كمتطوعين ضد الأوغاد والسفاكين.

القاضى: وأنت يامستر باتلر أتعطف على الجنرال فلانكو؟

باتلر: نعم أعطف عليه، فقد قبل العرض الواضح الصريح الذى طرحته على أوروبا والذى يخلصها من الشيوعية، اذا تم تعاون دول أوروبا الغربية

للقاضى: وأنت ياسير ميدلاندر تستطيع بالطبع أن تؤكد للجنرال فلانكو المعونة البريطانية..

سير أو: ناهضا كلا. كلا. إنى أعجب لهذا الفهم الخاطىء — الأمبراطورية البريطانية تلتزم الحياد الدقيق، وهى لم تفعل

أكثر من أن تعتبر الجنرال فلانكو محاربا

بومباردونى: فلانكو لن يجىء ؛ أنا لم أصرح له

يدخل من الباب الجنرال فلانكو دى فورتنبراس ، وهو ضابط متوسط العمر متأنق جداً ومتمسك بالتقاليد

فلانكو : عفواً، أهذه هى المحكمة الدولية؟

القاضى : نعم هى

فلانكو : اسمى فلانكو دى فورتنبراس - الجنرال فلانكو دى فورتنبراس .. لقد تلقيت إعلانا بالحضور

القاضى : هذا صحيح يا جنرال ، لقد كنا فى انتظارك ، مرحبا بك ، تفضل بالجلوس

السكرتير يضع كرسيا بين القاضى وبومباردونى ، فلانكو يتجه اليه

القاضى : قبل أن يجلس فلانكو أظنك تعرف هؤلاء السادة

فلانكو : يجلس من غير مبالاة كلا ولكنى رأيت كثيراً من صورهم الكاريكاتورية . . . لا حاجة للتعارف

القاضى : أتعرف وزير خارجية بريطانيا سير أورفيوس ميدلاندر..؟

فلانكو يقف على الفور ثم يدق عقبيه ويحيى سير أورفيوس بتقدير ظاهر يبين بوضوح الفرق بين هذه التحية وازدرائه للزعيمين .. سير أورفيوس يرفع يده كتقدير كريم لهذه التحية

فلانسكو : لقد جئت إلى هنا إذ بدا لى أن هـذا هو الرأى الصائب ، ولقد سرنى أن أرى سعادة وزير خارجية بريطانيا متفقاً معى فى هذا .

بومباردونى: بأى صفة أنت هنا ، هل لى أن أسأل ؟

فلانسكو : أتعنى أننى فى غير موضعى بينـك وبين زميلك المتكلم فى الناحية الأخرى ؟ إن رجل الأعمال لا مكان له دائما بين القوالين

بومباردونى: من أنت أيهـا التافه الضئيل الشـأن حتى تضعنى فى صف القوالين دون العاملين ؟

فلانسكو : هل عملت شيئا ؟

بومباردونى: لقد أنشأت امبراطورية

فلانسكو : تعنى أنك تسيطر على إدارة مكان يغشاه المتوحشون ، كان فى استطاعة أى طفل أن يعمل ذلك بهذا الجيش الميكانيكى الحديث

بومباردونى: إن نجاحك الحربى الضئيل قد أطار صوابك ، لا تنس أن جنودى هم الذين أحرزوا لك هذا النصر

فلانسكو : إن جنودك يحسنون العمل تحت قيادتى ولكن سوف نرى إن كانوا تحت إمرتك يعملون شيئا

بومباردوفى: إرنست ، إن تابعنا قد جن جنونه

فلانسكو : قد يكون مستر باتلر مشهرا فى الشئون المدنية ... وقد علمت أنه مسيطر على عواطف الطبقة المتوسطة السفلى... على أن مستقبل أوربا لن تقرره قصاصاتكم عن الاشتراكية

القاضى : لنعد إلى موضوعنا أيها السادة . ياجنرال ، إنك متهم بتخريب مملكتك تخريبا لا حد له وبتذبيح سكانها من غير تمييز

فلانسكو : هذه هى مهنتى ، أنا عسكرى ومن واجبى أن أحطم معاقل أعداء بلادى وأن أقتل سكانها

القادم الجديد : أتسمى حكومة بلادك الديموقراطية وهى الحكومة الشرعية أعداء البلاد

فلانسكو : نعم ياسيدى ، هذه الحكومة حكومة قوم لا خلاق لهم ؛ إنى أقف حياتى على أمر جليل ، لم أتحدث عنه كما فعل هذا المغامران ولكنى حاربت من أجله ! حاربت وانتصرت

القاضى : وما هو هذا الأمر الجليل هل لنا أن نسأل ؟

فلانسكو : إنى أقوم على تمثيل حكومة من السادة مقابل حكومة من الأوغاد ، وأقوم على تمثيل دين السادة مقابل زندقة الأوغاد ؛ ليس هناك فى رأيى غير طبقتين من الناس السادة والأوغاد

وغير عقيدتين الكثلكة والإلحاد ، إن هذا التبذل الشنيع الذى يسمونه الديموقراطية هو الذى أسلم زمام السلطة السياسية إلى الأوغاد والملحدين ، لقد صممت تصميما قاطعا على ألا يحكم العالم هؤلاء الأوغاد وألا يشب أبناؤه على الإلحاد ، وان المال الزائد عن الحاجة فيما أرى يجب أن يخصص لتنشئة السادة ، وفى هذا يؤيدنى الرأى العام ويشد أزرى . أجر استفتاء فى العالم المتمدين بأكمله فإنك لن تجد صوتا يقترع ضدى . أولئك الذين يعيشون على الفطرة ، من فلاحين ومزارعين سوف يؤيدوننى عن بكرة أبيهم ؛ وحتى هؤلاء المزارعون الذين حشدتموهم فى مدنكم وأفسدتهم حياة الشوارع والنقابات يعلمون فى قرارة نفوسهم أننى مخلّص العالم

بومباردونى: بلهجة تهكمية المخلّص ... ؟ !

فلانكو : لا تنتهك حرمة الدين فإنى من حُفّاظ الكاثوليكية . ومن السادة الذين يحافظون على معتقداتهم وتقاليدهم وواجباتهم التى يفرضها عليهم مركزهم الاجتماعى ودينهم ... لذلك لا يسعنى أن أقف متفرجا على السوقة وهم يقوضون دعائم المدنية التى قامت على هذا النظام وهذا الإيمان . وما كان لى أن أقف مكتوف الأيدى إزاء هذه الرسائل الخبيثة التى

تحض على الثورة والخروج على التقاليد والنظم أو أن أسفسط كما يسفسط الآخرون . لم يكن بدٌ من الجهاد المتواصل الذى لا هوادة فيه لإعادة النظام إلى العالم ؛ وقد أخذت على عاتقى هذه المهمة وتكفلت بها .. وهأنذا يفهم موقفى كل إنسان بينما لا يفهم أحد تلك الرسائل ... لا ولا ومجلدات كارل ماركس الثلاثة ... ولا نظريات المثاليين ، ولا جعجعة الخطباء ؛ بل ولا نذالة السوقة — هل أوضحت لكم ما أعنى . . ؟

بومباردونى: هل أنا سوقى ؟ وهل إرنست هذا سوقى ؟

فلانسكو : من الخير ألا تدفعنى الى التحدث عن الأشخاص

بومباردونى: دعك من هذا ! واجه المسألة . هل نحن سوقة أم سادة . أجب .

فلانسكو : لستم سادة بالتأكيد ، أنتم نبوة

باتلر : نبوة

بومباردونى: وما النبوة ؟

القاضى : النبوة عضو مفرد لا ينطوى تحت أى فرع من فروع التصنيف

بومباردونى: حسنا أنا أقبل هذا .

باتلر : وكذلك أنا . أنا نبوة

القاضى : والآن أيها السادة الزمن يمر سراعا... ألا ترون من الأصوب أن نقطع برأى أو حكم ؟

باتلر : حكم !

بومباردونى: حكم !

باتلر : ماذا تعنى ، أتحاول أن تحكم على ... ؟ !

بومباردونى: احكم على إن استطعت

فلانكو : أصدر علىّ حكما يهمل شأنك التاريخ كأحد السوقة

باتلر : لقد أهملك التاريخ فعلا باعتبارك كاثوليكيا أى تسعة أعشار يهودى

بومباردونى: إنك لا تكف عن الطنين يا إرنست إلى القاضى ماهو القانون ؟

القاضى : لسوء الحظ ليس هناك قانون بين الدول ، سيكون من واجبى أن أضع أسسه بتقرير مبادىء قضائية

باتلر : فى بلادى أنا الذى أخلق هذه المبادىء

بومباردونى: أصبت يا إرنست ، كذلك نفعل

القاضى : لستم قضاة ولذلك فالمبادىء التى تقررونها محلية لا قوة لها خارج نطاق البوليس عندكم ، أنت هنا يامستر باتلر لتجيب على اتهام موجه اليك من سيد يهودى يتهمك فيه بالقبض والسجن غير المشروعين ، والتعدى ، والسرقة ، وإنكار حقه فى

أن يعيش فى البلد التى ولد فيها فما هو دفاعك ؟

باتلر : إنى لا أنزل إلى حد الدفاع عن نفسى

اليهودى : تعنى أنه لا دفاع عندك ، إنك لاتستطيع أن تجد محاميا يهوديا ليدافع عنك فقد طردتهم جميعا من بلدك ولم تدع فيها من العقول إلا من على شاكلتك ، لقد استخدمت قوة السلاح لتقضى على قوة العقل ، وهذه خطيئة فى حق الروح المقدس — أتهمك بها

القاضى : ما قولك فى هذا يا مستر باتلر

باتلر : لا شىء . فمن كان مثلى لا توقفه ثرثرة المتعالمين بشأن القوة العقلية ، ولكنى سأنزل إلى مستوى هذا المخلوق المنحدر من الحى اليهودى لأقول له أن لكل جنس من الأجناس الراقية المخلصة لذاتها مسيحا يرسل

الراهبة : أوه . ما أصدق هذا !... لو أنك آمنت به !

القاضى : أفهم من هذا أنك تدافع عن الوحى الالهى يا مستر باتلر...

باتلر : أن قوتى روحانية وليست عقلية

بومباردونى: خذ حذرك يا إرنست إنك تمشى على الصراط بين الوحى وبين جنون الشحاذ الممتطى صهوة جواد ، كلانا شحاذ يمتطى صهوة جواد ، ومن حق الزعامة علينا أن نركب بحرص

وحذر ... الزعامة كما نعلم نحن الاثنين شيء روحانى فلا داعى للتظاهر بأننا نفهمها. إن الله يختار زعماءه ولكنه قد يحطمهم إذا هم خرجوا عن طاعته ؛ ذكر نفسك بهذا كل ليلة قبل أن تأوى إلى فراشك يابنى ... ففى ذلك تأمين لمركزك ولو إلى حين

تصفيق حاد من القسم البريطانى

باتلر أولى بك نفسك أيها الطبيب فلا حاجة بى لعلاجك

القاضى : هذه روحانية مفيدة جدا ؛ إنى أشكركما باسم الحاضرين جميعا. أتسمحون لى أن أسال إن كان لهذا الهدى الالهى الذى تشعرون به حدود ؟ أفلا ينطوى على قيام دولة عالمية على رأسها المستر باتلر أو السنيور بومباردونى أو وزير خارجية انجلترا ؟

فلانكو : لن يكون ذلك فى بلادى فالحدود يعنى الحدود ولا هذر فى ذلك. فليدبر هؤلاء السادة أمور بلادهم وليتركونا ندبر أمور بلادنا...

القاضى . أهذا رأيك يا مستر باتلر ؟

باتلر : كلا . فأنا أومن أنه لا بد لأرقى الأجناس إذا خلص نسله وصلح من أن يحكم العالم

القاضى . أتوافق على هذا يا سير ميدلاندر ؟

سير أو . أوافق مع بعض التحفظات. أنا لا أحب تعبير « أرقى

الأجناس ، ولا أثق كثيراً فيمن ينسب إليهم الرقى فمن تجربتى أنهم قوم من العسير جدا العمل معهم ، سيئو السمعة فى حياتهم الخاصة وقلما يؤدون فرائض الدين ، أما إذا حذفت تلك الكلمة التعيسة «راقى» واستبدلتها بقولك الجنس الذى يجعله خلقه - خلقه الطبيعى الثابت المكين - أصلح الأجناس ليحكم بالعدل والإنصاف فأظن أنى أوافق

القاضى . بالضبط . والآن هل لنا أن نعرف رأيك أيها السنيور الزعيم ؟

بومباردونى: إنى أوافق من حيث المبدأ ، بل وأرحب به فإن شعبى كواحد من شعوب البحر المتوسط لا يمكن أن يخضع لحكم أهل الشمال البرابرة ، على أنه يستطيع فوق ذلك أن يطويهم تحت جناحه وأن يتمثلهم ويبث فيهم المدنية مهما تكن أعدادهم

القاضى : هل للسيد الروسى ما يقوله ؟

كوميسار : كلا ، إن هؤلاء السادة يتكلمون عن بلادهم ولكنهم لا يملكونها ، وإن مواطنيهم لا يملكون الأرض التى يشقون فيها ويفنون ، فهى ملك لحفنة من الأعيان والرأسماليين الذين لا يسمحون لهم فى مقابل كدهم وكدحهم إلا بالكفاف الذى لا يكاد يبقى على الرمق . أما روسيا فهى للروسيين

وسنظل نرقبكم وأنتم تاكلون بعضكم بعضا ، حتى إذا ما انتهيتم تقدمت روسيا - روسيا المقدسة - لتنقذ روح العالم بأن تعلمه كيف يطعم شعبه بدلا من أن يسلبه

فلانكو . هل حدث فى تاريخ بلادكم أن اغتصب الأعيان أموال الناس كما يغتصبها الآن عمال حكومتكم لإنشاء المدن والمصانع فى الصحراوات ولتنشئة الأطفال على الإلحاد ؟ إن بلادكم تضطرم بالمؤامرات لقلب النظام الحاضر وإعادة النظام القديم وإنكم لتضطرون إلى إعدام المتآمرين كل شهر بالعشرات

كومبسار : ليس هذا بالكثير فى بلد تعداده مئتا مليون من الأنفس يا جنرال ... فكر فى كل الأنذال الذين ينبغى أن ترميهم بالرصاص !

القاضى : أرجوكم أيها السادة ، كفى تراشقا بالتهم ولنعد إلى موضوعنا موضوع الجنس الراقى والزعامة المقدسة . ما الذى يحدث إذا لم تتفقوا على من يكون الزعيم المقدس فيكم .. وأيكم العنصر الراقى؟

بومباردونى: جوابى على ذلك ثمانية ملايين من الحراب .. ! !

باتلر : جوابى اثنا عشر مليونا من الحراب ... ! ! !

القاضى : وما جوابك يا سير ميدلاندر ؟

سير او : إن هذا الضرب من الحديث خطير جدا ؛ وفضلا عن ذلك فالناس فى هذه الأيام لا يتقاتلون بالحراب ، الحقيقة أنهم لا يتقاتلون بالمعنى القديم فمستر باتلر يستطيع أن يمسح من الوجود لندن وبورتسموت وكل مدننا الإقليمية الكبيرة فى يوم واحد ، ونضطر بدورنا إلى مسح همبورج وكل المدن الشرقية من منستر إلى سالزبرج ؛ والسنيور بومباردونى فى استطاعته أن يخرب تونس ونيس والجزائر ومرسيليا وتولوز وليون وكل مدينة جنوب نهر اللوار ؛ ويضطر الفرنسيون وفى طليعتهم الأسطول البريطانى إلى تخريب نابلى والبندقية وروما بل وميلان برجوع البريد ؛ ويظل الحال على هذا المنوال إلى أن ينفذ مالدى أوروبا من الذخائر ويفنى طياروها عن بكرة أبيهم وهى حال لا يمكن أن يربح فيها أحد بل محتوم فيها خسارة الجميع خسارة فادحه... فمن منا يجرؤ على تحمل مسئولية إلقاء القنبلة الأولى ..؟!

باتلر : إن وسائلنا للوقاية من الغارات الجوية تامة كاملة

سير أو : وسائلنا لسوء الحظ غير كاملة ، لا أحد يؤمن بها وأنا نفسى لا أثق فيها . واسمح لى أن أتشكك فى قدرة وسائلكم

القاضى : واحتياطاتكم يا سنيور أهى كاملة ؟

بومباردونى. ليس لدينا احتياطات . . ان قوتنا نستمدها من إقبالنا على الموت بنفوس راضية

القاضى : يخيل إلى أن هذا يعقد المسألة ، أهى قتل أم انتحار ... على أية حال هل لى أن أفهم أنكم جميعا مزودون بالوسائل الفعالة لاحداث هذا الدمار وللانتقام له انتقاما مماثلا إذا وقع عليكم ؟

سيبيو : وماذا يمكن أن نفعل غير ذلك ياسيدى ؟

القاضى : أرانى محرجا . . . فقد استمعت اليكم جميعا وراقبتكم بانتباه شديد والذى يبدو لى أن أشخاصكم لا غبار عليها ولا ضرر فيها فليس هناك ما يمنعكم عند ما تلتقون من أن يدور بينكم الحديث فى ود وصفاء ولست أرى ما يحول دون أن تكونوا جيرانا متحابين . وإنه ليبدو أن مهمتى لوضع قانون دولى عن طريق السوابق القضائية أمر هين لا عسر فيه إلا أنه لسوء الحظ عندما تعرض أية مسألة من المسائل السياسية الخارجية تواجهوننى بقلوب سودتها الأحقاد ونذالة لا تستدعى عقوبة أقل من الحكم عليكم بالاعدام فورا بنهض الزعماء والاحتياطى البريطانى فى استياء ما عدا القادم الجديد

القادم الجديد : أحسنت ، أحسنت ، أحسنت ..!!

سير أو : نذالة ...!

باتلر : إعدام ...!

بومباردونى: أنت معتوه ...!

القاضى : إذا كنتم لاتقبلون لفظة إعدام فأنا على استعداد لاستبدالها بكلمة تصفية ، أما كلمة نذالة ومشتقاتها فلا أستطيع أن أن أسحبها ؛ إن هدفكم هو السيطرة ، وأسلحتكم هى النار والسموم والمجاعات والدمار والإبادة بكل الوسائل المعروفة للعلم ، ولقد أنزلتم بعضكم بعضا الى درك سحيق ... الى حالة من الإرهاب فقدتم فيها كل حساسية فلم تعد تثنيكم أية قساوة مهما فظعت عما ترمون اليه ... وتسمون ذلك وطنية وبسالة ومجدا ...؟! هناك آلاف من الشئون النافعة فى بلادكم تحتاج إلى من يقوم على تنفيذها ولقد ظلت معطلة مئات السنين بينما النـــار والسموم دائما موضع اهتمامكم ودائما على أحدث طراز .... اذا لم تكن هذه هى النذالة فما النذالة إذن ...؟ لقد قطعت كل أمل فيكم ..! فشل الانسان فشلا ذريعا كحيوان سياسى ولا بد للقوى الخالقة التى أنتجته من أن تنتج شيئا أفضل التليفون يدق اسمحوا لى ....

فى التليفون نعم ؟ ماذا ؟ قل ذلك ثانية . أنتظر حتى أكتب

أنا لا أفهم يكتب : « أذاع علماء الفلك أن مدار الأرض يقفز الى كمه التالى ... والرسالة تلقتها جرينتش من ثلاث مراصد أمريكية ... الإنسانية مقضى عليها بالهلاك، شكرا... أيستطيع أحد أن يفسر هذا ... ؟ لماذا يتحتم هلاك الإنسانية

السكرتير : هذا أمر واضح وعظيم الخطر ...

القاضى : ولكنه ليس واضحاً لى . فهلا فسرته ...؟

السكرتير : مدار الأرض هو الطريق الذى تسلكه فى دورتها حول الشمس ولما كانت الشمس تبعد عنا ٩٣ مليون ميل فإن الدورة تستغرق عاما كاملا ...

القاضى : كلنا يعرف هذا ، ولكن الرسالة تقول إن المدار سيقفز إلى كمه التالى فما هو الكم التالى ؟

السكرتير : إن المدار اذا تغير فانه لا يتغير بالتدريج ولكنه يقفز فجأة مسافات نسميها الكم ولا أحد يعرف السبب . فاذا قفزت الأرض الى مدار أوسع ابتعدت بنا عن الشمس ملايين من الأميال ومعنى هذا انتقالنا الى الفضاء الشديد البرودة ؛ وسيكسو الثلج الذى يجلل القطبين الشمالى والجنوبى الأرض كلها وتتجمد حتى الدببة القطبية وتنعدم كل معالم الحياة

فى الأرض على أية صورة من الصور التى نعرفها

اليهودى : ينهض ويسرع نحو الباب اسمحوا لى ...

السكرتير : لا فائدة من الفرار يا صديقى فستلحقك موجة الثلج أنى ذهبت

القاضى : دعوه وشأنه فقد أذهلته الصدمة

اليهودى : لا . لا ليس هذا ولكن يجب أن أتكلم فى التليفون يخرج

القاضى : ينهض أيها الرفاق ... هذه هى النهاية ، نهاية الحرب ، نهاية القانون ، نهاية الزعماء . . ووزراء الخارجية . . والقضاة ، والقواد .. منذ لحظات كنا رجالا لهم خطرهم .. وبدا مصير أوربا كأنه متوقف علينا فمانحن الآن؟ وماقيمة الديموقراطية .. والفاشية ... والشيوعية ... والكنيسة الكاثوليكية ذات السلطان ... أما تزال تحتفظ بهذا السلطان .. !؟

فلانسكو : ما دمت تقول إن كل سلطان زال فلم التجديف ؟ ! منذ عشر دقائق كان قضاء الله فى طىّ الغيب . . . أما الآن فنحن على عتبات الأخرة .. وعلينا أن نعد للملايين من قومنا سبيل الاستغفار والخلاص . . . وليس لدينا من القسس ما يكفى للقيام بهذا العمل فضلا عما سيواجهنا من اعتناق الكثيرين

لمذهبنا .. نحن الكاثوليكيين نعرف واجباتنا وليس لدىّ من الوقت ما أضيعه فى تفاهات مع قوم لا يعرفون شيئا ولا يعتقدون فى شيء يتحول نحو الباب ولكنه يسمع سيّر أورفيوس

سير أو : دقيقة واحدة من فضلك .. هذه الإشاعة يجب دحضها مهما كلف الثمن !

كوميسار : كيف نستطيع نقض حقيقة علمية ؟

سير أو : يجب أن تنقض ، أن تنقض رسمياً . فكر فى النتائج التى تترتب على تصديق الناس لمثل هذه الإشاعة .. سيتحلل الناس من رباط الحياء والعقل ، اليهود وحدهم بما جبل عليه جنسهم من صفات عملية لكسب المال هم الذين سينتفعون من حالة اليأس التى نحن فيها ... لماذا تركنا صديقنا اليهودى الآن ؟ ليتحدث فى التليفون ... كذلك قال .. ولكن لمن يتحدث ؟ لوكيل أعماله باسادة ليصدر اليه التعليمات ليبيع الأوراق المالية بأى مقدار وبأى ثمن علماً منه بأن هذه القصة اذا ما ذاعت قبل يوم الاستحقاق فسيستطيع شراءها بثمن التراب ويصبح مليونيراً الى أن تلحقه الموجة الثلجية ... يجب ألا يحدث

هذا وسأتخذ الخطوات اللازمة فى انجلترا وسيصدر رئيس المعهد الملكى للعلوم الفلكية تكذيبا لهذه القصة بعد ظهر اليوم، وعليكما أيها السيدان أن تعملا فوراً على أن تكذب رسمياً فى بلادكما

كوميسار : لنفرض أن رئيس المعهد الفلكى رفض أن يكذب... لا تنس أنه رجل علم لا رجل سياسة...

سير أو : إنه انجليزى ياسيدى مدرك للأمور، وسيؤدى واجبه. هل أستطيع أن أعتمد عليكم أيها السادة...

بومباردونى: أيمكن أن تعتمد على موجة الثلج ؟ يجب أن أعود إلى بلادى فى الحال.. سيندفع الناس نحو خط الاستواء وبلادى فى الطريق اليه فعلىّ أن أوقف هذا الإندفاع عن حدود بلادى بأى ثمن ...

كوميسار : لماذا ؟ وهل يفيد هذا ؟

بومباردونى: لن أسمح بقيام الفوضى ولن أسمح بالذعر ، سنموت فى وقار مستخفين بالألم..شأن الرواقيين..صامدين فى أماكننا كرومانيين. تذكروا أننا لن نضمحل .. ولن نتحلل..ولن ينالنا البلى..بل سنظل خالدين وسط الثلوج التى سوف تطغى علينا حتى إذا ما كشف عنا مرتاد من كوكب آخر أو جنس آخر

يستطيع أن يعيش ويتنفس فى درجة الصفر المطلق وجد قومى رابضين فى أماكنهم كحارس بومبى الذى ظل صامداً فى مكانه عند ما دهمها البركان . وأنت أيضا يا إرنست يجب ... ماذا ! أتبكى !!! يا للعار أيها الرجل ! إن العالم يتطلع إلينا لنقوده... فهل يجدنا غارقين فى الدموع ..؟

باتلر : دعنى وشأنى . إن كلبتى بلوندا سيقتلها الجليـــد . كلبتى ! كلبتى الصغيرة ! ينال منه الموقف ويبكى فى عصبية

القادم الجديد : أوه لا تبتئس أيها الرجل إلى هذا الحد ، لقد كنت أربى كلاباً مثلك ولكنى اضطررت للعدول عن ذلك إذ لم أحتمل قصر حياتها ... وكان لا بد أن تفقد كلبك يوماً ما يخرج باتلر منديله ويتمالك نفسه ولكن الراهبة تنفجر باكية

بيجونيا : كفى بكاء بالله عليك وإلا أبكيتنا معك .... إن الموقف عصيب فلا تزيديه بدموعك ...

السكرتير : أجل يا سيدتى إلجأى بأحزانك إلى « يسوع » واضربى مثلا طيبا للسيدات

الراهبة : ولكنى فى السماء سأفقد يسوع ، سيكون ملكا هناك ... ولن يكون ثمَّ متاعب أو أحزان أو آثام ألجأ بها اليه... لقد كانت

حياتى سعيدة حين وجدته ... منذ سنة ... جعل حياتى على الأرض جنة .. والآن ينتهى كل شىء ... أنى لا أحتمل هذا .. يغلبها البكاء

القادم الجديد : كفى . كفى بالله ! لا فائدة من هذا . كأنكم أيها الناس كنتم تظنون أنكم تعيشون أبدا . . ولكن أنى لكم ذلك . . ! لقد حلت الساعة وجاء أجلنا ، وقد كان ذلك محتوما إن عاجلا وإن آجلا . . . إنى لا أشكو فلقد استمتعت بحياتى ... وإنى على استعداد للرحيل وكما يقول الشاعر

« إذا لم يكن من الموت بد . . . . » ولا بد لى أن أسرع لأخفف عن زوجتى ينهض للذهاب

الراهبة : أوه سيدى أتصدق هذا ، الا يمكن أن يكون باطلا . . !

القادم الجديد : فى وقار لا . إنها حق لا مرية فيه . لو أنها كانت قصة من قصص الكهان أو أسطورة من الانجيل ما عبأت بها ولكن العلم لا يخطىء .. ويجب أن نواجه الحقيقة .. سعدتم صباحا يا سادة

يخرج القادم الجديد وينفرط بخروجه عقد المحكمة وينهض الزعماء والقادة ويتقدمون جماعة

الراهبة : لفلانكو آه ! هل العلم دائما على صواب يا جنرال . . ؟ !

فلانكو : كلا . . بكل تأكيد . فهو دائما على خطأ ولكنى أنتظر قرار الكنيسة وإلى أن يصدر هذا القرار فليس للقصة أى سند ..

سيرأو : هل لى أن أقترح عليك أن تستخدم كل نفوذك لدى روما للحصول على قرار عاجل من الكنيسة بنقض هذه القصة..؟!

فلانكو : إنك تصعقنى بما تقول .. فلا أحد يستطيع أن يؤثر على الكنيسة فهى تعرف الحقيقة كما يعلمها الله وسترشدنا طبقا لذلك ، وكل من يتشكك فى قرارها يعدم ... وواجبى هو أن أقوم على تنفيذ ذلك بعد أن أستغفر لذنوبى ...طاب صباحكم

يخرج

الارملة : إن لديه على الأقل ما يمنحه لأولئك الذين يكاد يدركهم الموت

كوميسار : مخدر ..!!

القاضى : ولم لا ؟ إذا كانوا يموتون فى راحة...

باتلر : يجب أن يتعلم الناس أن يواجهوا الموت فى غير خداع ...

بومباردونى: إن فلانكو مائت لا وجود له ولكنه لا يدرك ذلك ، لو لم يكن التاريخ على فراش الموت لنبذه من سجل الخالدين ...

يجونيا : لا بد أن أقرر هنا أن الجنرال سيد كامل ، وما شعرت قط برغبة فى أن أركله بقدمى وهو يتكلم ولكننى كنت أشعر طول الوقت برغبة فى أن أركل كليكما ...

الخطيب : الثبات يا جونى الثبات ...! ولا يجب أن تخرجى عن رقتك

يجونيا : وما قيمة الرقة الآن..؟! إذا كان الدم سيجمد فى عروقنا عن قريب ونموت موتا فليس من حرج فى أن نرضى أنفسنا ونعبر

عما نشعر به حتى ذلك الوقت

الخطيب : لا تقلق يا فتاتى ...خذى قطعة من الشيكولاتة ...

بيجونيا : كلا . أشكرك

الخطيب : أيها العم .. هذه هى أول مرة ترفض فيها قطعة من الشيكولاتة

سير أو : طبيعى فتقديرنا للأمور قد تغير

الخطيب : أما أنا فلم تتغير تقديراتى ؛ يخيل إلى ياعمى أن ما قلته عن مسألة البيع والاستمتاع قبل أن يغمرنا الجليد فيه شيء من الصحة .:. ما رأيك فى ذلك ياجونى ..؟

بيجونيا : لا أستطيع أن أدعى أن هذه الفكرة لم تكن تروقنى قبل أن أمثل التعاون الثقافى ، أما الآن فأنا سيدة من سيدات الامبراطورية البريطانية ، وإذا لم يكن من الموت بد فلابد أن أموت كسيدة..! تخرج

سير أو : احجبها يا سيدى وليكن تصرفك لائقاً...

الخطيب : هذا شيء يؤسف له ولكن... يهز كتفيه باستسلام ويخرج

سير أو : للكومبسار أتدرى ياسيدى ماسوف يحدث ؟ . . فدراستى الكلاسيكية لم تتضمن درس العلوم

كومبسار : إنى أنتظر التعليمات . فنظريات ماركس لا تشتمل على

نظرية الكم فلا بد لى إذن من استشارة موسكو يخرج

سير أو : أليس لهؤلاء الناس عقول يتصرفون بها..؟! أحدهم لابد له أن يستشير روما، والآخر لابد له أن يستشير موسكو؛ لحسن الحظ ليس لكليكما أيها السيدان أحد ترجعان اليه فهل لى أن أعتمد عليكما لتبذلا أقصى ما فى وسعكما لخنق هذه الأنباء المروعة حتى أعود إلى لندن وأستشير مجلس الوزراء ؟

بومباردونى: تستطيع أن تعتمد علينا كل الاعتماد..لقد أذيعت الأنباء على العالم كله بفضل الاستعدادات التى أتخذت لاذاعة كل مايجرى فى هذه المحكمة وستكون النتيجة طبقا لكلامك أن الناس سيتحللون من قواعد الأدب ويتحررون من كل زعامة، وفى رأيى أنه الناس سيكونون فى حاجة إلى زعيم أكثر منهم فى أى وقت مضى . لقد علمتهم أن ينظموا حياتهم وسأعلمهم أن ينظموا موتهم وأن عظم الكارثة لهو مقياس لعظمة الزعيم . . .

سير أو : إن لك دائما خطابا يناسب المقام... لو كنت فى انجلترا لرفعتك هذه الموهبة إلى منصب رئاسة الحكومة ولكن شعبك السريع التأثر قد يجمح ولا يمكن كبحه..

بومباردونى: ليس فى استطاعتى فى مثل هذه الحالة الا أن أقع صريعا على رأس

محاولة لوقف هذا التيار الجارف... وعلى الأقل يصعد رجل واحد رافعاً لواء الشجاعة الأنسانية والوقار حين يفنى الجنس كله

سير أو : هذا موقف جميل صائب ، ولكن أليس لديك ما تقدمه غير هذا ؟

بومباردوني: ألدى أحدكم شيء خير من هذا ؟

سير أو : لا أظن ولكنني قوى الشعور بأن فورة من الاخلاص قد تكون مبعثاً لطمأنينة كبرى ...

بومباردوني: الى باتلر أعطه فورة الإخلاص التى يطلب يا إرنست . فلتبك من أجل كلبك مرة أخرى . طاب صباحكم أيها السادة يتجه إلى الباب

باتلر : يناديه سيكون لك شرف مشاركة كلبي الصغير مصيره ولكن لن يبكى عليك أحد يا باردو ...

بومباردوني: آمل ذلك فلست ممن يتجرون بالدموع يخرج فى خطوات واسعة

باتلر : يا له من ممثل !

السكرتير : أنت خير من يحكم فى ذلك ... فلك باع فيه طويل ..

باتلر : كانا ذلك الرجل . ولكنى أظن أنى قمت بنصيب قليل من العمل المثمر إلى جانب تمثيلى ولا أحب أن أنقض عملى . لن

تقف فى أوضاع التماثيل على طريقة باردو .. سنعمل للنهاية ونضرب مثلا لذلك العنصر الذى سيخلفنا ويكون فى مقدوره أن يعيش فى العالم الثلجى المنتظر

سير أو : ومع ذلك فأية فائدة من الاستمرار فى صنع السيارات وأنت تعلم أنها لن تجرى أبدا

باكر : لا شك فى نفعها إذا كان الشىء المقابل هو أن نعصر أيدينا يأساً أو ننكب على معاقرة الخمر، إننا لا نستطيع أن نعمل لأنفسنا حتى اللحظة الأخيرة ولكننا جميعا نستطيع أن نعمل من أجل الشرف..! يخرج

سير أو : يا له من رجل محظوظ ! لسوف يكسبه كلبه دعاية واسعة النطاق..! يخرج

القاضى : الراهبة والأرملة سيداتى أخشى أنه لم يعد هنا ما يعمل

الراهبة : نامضة لا أحد منكم يفهم ما يعنيه هذا بالنسبة لى لأن أحداً منكم لم يتعلم كيف يعيش . إنكم أرواح معذبة كما كنت منذ ستة شهور ، والآن لا مناص من أن أموت فى اللحظة التى تعلمت فيها كيف أعيش ، عفوا ...فلا طاقة لى على الكلام فى هذا مخرج مشتة الذهن

القاضى هى على الأقل تعرف قيمة حياتها وتقدرها

السكرتير : نعم فهى من أنصار حركة ما ...

الارملة : تخرج مسدسها من حقيبتها وتنهض لقد قتلت أعز صديقاتى بهذا واحتفظت به لأقتل نفسى ، لا فائدة فى ذلك الآن فان الله سيحق علينا كلمته وكلمة الله هى العليا تلقى بالمسدس إلى سلة المهملات ولكنه رحمن رحيم فلن تزعجنى الأحلام قط إلى السكرتير وأنا لست من أنصار حركة ما ..

ينحنى السكرتير وهى خارجة

السكرتير : تستطيع أن توقف أجهزة اللاسلكى ؟

القاضى : ذاهبا إلى المائدة ومديراً مفتاحا الأجهزة كلها لا أحد يستطيع أن يسمعنا الآن عائدا أيمكن أن يكون هذا صحيحا ..؟!

السكرتير : كلا .. فهو هراء كله فلو أن الأرض قفزت إلى مدار أوسع فنصف دقيقة كاف لأن يلقى بنا إلى آفاق من الفضاء لا نستطيع فيها أن نتنفس ويجمد الدم فى عروقنا

القاضى : ومع ذلك فقد صدقناها جميعا ..!

السكرتير : ما عليك إلا أن تذكر نظرية الكم حتى يصدق الناس كل ماتقول آخذين صوتك على أنه صوت العلم .. على أية حال فقد فضت مهزلة هذه المحاكمة ..

القاضى : لم تكن مهزلة ياصديقى .. لقد جاءوا .. جاءوا وجعجعوا وملأوا الدنيا صياحا وتحدونا ولكنهم جاءوا .... جاءوا .....

DATE DUE

828:S534gA:c.1
فتحي، محمد
جنيف
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01031877

828
S534gA